الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرداسي بعابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٢ ، ٥٦٧٢٩

العدد ١١٤ | الثلاثاء ٩ من صفر سنة ١٣٦٠ — ٤ من مارس سنة ١٩٤١ | السنة الثالثة

فهرس العدد

الأدب والسياسة

للأستاذ علي أدهم

يذهب الكثير من النقاد إلى أن الأدب هو صورة العصر ومرآة الحياة ؛ وهذا الوصف رغم ما فيه من صدق يظهر الأدب في صورة القمر ، ذلك الكوكب المهجور الخالي من الحياة الذي لا يستبين لعيان إلا بما ينعكس عليه من أضواء الشمس . والواقع أن الأدب أجل من ذلك شأناً وأوفر قوة وأبعد أثراً ، وهو بحساسيته الشفافة المرهفة ، وعينه اليقظة الساهرة ، وحرصه على استيعاب كل شيء ، والإحاطة بالحياة من جميع نواحيها ، يحاول أن يتابع الحياة في إبداعها المستمر ، ويلاحقها في وثباتها المتتابعة ، ويسجل تقلباتها ، ويقيد شواردها ، ويرسم ظلالها المتنوعة وألوانها المتباينة ، وهو بهذا الصراع العنيف يضطر الحياة إلى أن تجلو أسرارها وتكشف عن حقائقها ؛ ومن ثم تختلف صور الأدب تبعاً لاختلاف صور الحياة وطبائع العصور .

ويستهدف الأدب في العصر الحاضر لمؤثرات كثيرة ، أوضحها وأعظمها دلالة السياسة وعلل النفس والاختلافات

العلمية الحديثة . والسياسة فى أشمل معانيها هى علاقة الفرد بالمجتمع من ناحية وعلاقته بالدولة من ناحية أخرى. والأدب كما هو معروف يقوم على الإنتاج الفردى ، ولذا قد ينكر بعض المفكرين علاقته بالمجتمع وتأثره بالدولة . وقد تتساءل ما شأن الكاتب بقيام الدول وسقوطها وتماسك الجماعات وانحلالها ؟ أليس له من رحيه المتباين وشعوره المرهف ما يجعله بمعزل عن تقلبات الحوادث وغير الدهر ؟ وكيف لا يذوى فنه وتنمحى شخصيته إذا غمره المجتمع وجرفه تياره وسال به سيله ؟ ولكن العلاقة بين الأدب والسياسة علاقة قديمة ، وقد طبعت السياسة بطابعها الأدب اليونانى والأدب الرومانى والأدب الإسلامى فى مختلف عصوره ، وزادت فى ثروته وأمدت صوته ووطدت من مكانة رجاله ، وما زال الكاتب منذ نشأة الأدب وهو لسان قومه الناطق ، وقلبهم الخافق ؛ فعندما يتحلل المجتمع ويشيع فيه الفساد يبدو فى حديثه القلق والتبرم والألم والضيق والحزن الوجيع . وليس من [illegible] الحاضر الذى تضطرب فيه أحوال المجتمعات الإنسانية ، وتتقلقل الأوضاع ، أن يجبر الكاتب على أن يفكر تفكيراً سياسياً ويطيل التأمل فى العلاقات الاجتماعية والأحوال الحالية ؛ وليس فى وسعه من حيث هو إنسان أن يتخلى فى هذا الموقف عما عليه من تبعات ويتنحى عما فى ذمته من ودائع .

وقد طغت السياسة على الأدب فى العصر الحاضر طغياناً شديداً ، وكتاب العصر معنيون بالسياسة إلى حد لم يعهد فى كتاب العصور الحديثة منذ الثورة الفرنسية . ولعل الذى أثار الكتاب ووجههم هذا التوجيه شعورهم القوى بأن المجتمع فى بنائه الحالى غير أهل لمتابعة تطورات الحياة فى صورها الأخيرة ، وأن الثورة القائمة والتغيرات المتطورة لا ينبغى أن ينفرد السياسيون بالإشراف عليها واستغلالها .

وأكثر الكتاب فى العصر الحاضر مضطرون تحت ضغط الحوادث إلى الانضمام إلى أحد المذاهب السياسية الكبيرة التى ذاعت شهرتها ، مثل الفاشية والنازية والشيوعية والديمقراطية ؛ وهذه المذاهب قائمة على الصراع بين مختلف الطبقات الاجتماعية ؛ ويحاول الكتاب جهدهم التوفيق بين مزاجهم الفردى وهذه النظم الاجتماعية الصارمة .

وقد أدى ذلك إلى نشوء تصور جديد لوظيفة الأدب ومكانة الكاتب ؛ وقد كان المعروف أن الكاتب فنان قبل كل شيء ، وهمه الجمال وحفز الشعور والتسلية والمتعة ، وهو ينقلنا إلى عالم يخالف العالم الذى نعيش فيه ، ويسمو بنا فوق مناقشاته ، وينسينا مشاكله وهمومه ، ويبعدنا عن حوادثه السياسية العارضة وتقلباته العابرة ، ويلقى عليه كرى الأوهام ويحجب عنه صوت الوحى إذا أرغمناه على الخوض فى السياسة وأقحمناه فى سلك الدعاة ؛ ويمكن للكاتب أن يكون سياسياً متحمساً إذا شاء ، ولكن على ألا يجعل الأدب ذريعة من ذرائع الدولة ووسيلة من وسائل السياسة ، لأنه إذا فعل ذلك أسف أدبه وقل إحساسه وفقد قيمته ؛ واستخدام الأدب للأغراض السياسية يفسد الأدب ويهبط به عن مستواه الرفيع ، والكاتب الذى يرى نفسه مسوقاً إلى وضع قصة تعلن محاسن النازية أو تدافع عن الشيوعية سيجد نفسه مضطراً إلى أن يشوه الحق ويقسر الفن لتدعيم مذهبه وإثبات وجهة نظره ، وستحفل روايته بالشخصيات الزائفة والمواقف المصطنعة التى لا يقتضيها منطق الحوادث ؛ ولكن المذاهب السياسية الحديثة لا تبالى ذلك ، وتطالب الكاتب بأن يأخذ جانباً فى المعركة القائمة وينضم إلى صف من الصفوف ، وينحرف عن تلك النظرية المعروفة نظرية « الفن للفن » ، ويصبح مسخراً لأغراض أخرى شاء ذلك أو لم يشأ .

وقد أدرك السياسيون فرط عناية الكاتب بالسياسة

فحاولوا أن يجتذبوهم إلى مشكلاتهم الحزبية وخلافاتهم السياسية ، وعمل أصحاب الأعمال الكبيرة على الاستفادة من أقلامهم واستثمار مواهبهم ، حتى كادت تنقلب الكتابة إلى نوع من الإعلان وضرب من ضروب الدعوة وتفقد الكثير من الصفات الفنية .

ويحسن أن نفرق بين عناية الكاتب بالسياسة في الأمم الديمقراطية وعنايته بالسياسة في الأمم الديكتاتورية ؛ فالكاتب السياسي في الأمم الديكتاتورية بوق من الأبواق وصدى من الأصداء ، لا أكثر ولا أقل ، وانحطاط مستوى الأدب والفكر في الأمم الديكتاتورية من المسائل الشاهدة المعروفة ، وتعليلها هين ؛ وذلك أن الكاتب الخالق لا يتيسر له الخلق في أغلب الأوقات إلا إذا شعر بأنه حر واطمأنت نفسه واستقر عنده الهدوء ، والأدب الطلق لا يزدهر إلا حيث يشعر الكاتب بأنه غير مضطر إلى مصانعة الحاكمين ومداهنة الأحزاب .

والعامل الثاني الذي أثر في الأدب الحديث تأثيراً بعيد الذي هو علم النفس . وفرويد بتوجيهه النظر إلى مسألة العقل الباطن ، فتح في عالم الأدب فتحاً مبيناً وبدأ حركة لها نتائجها البعيدة ، وقد قرنها بعض المفكرين بالثورة الصناعية واستكشاف أمريكا ؛ وفي الوقت الذي بدأ فيه فرويد رحلته في عالم العقل الباطن كان كثير من متقدمي الكتاب قد أخذ يشعر بفوضى المجتمع وانحلال روابطه ، ولجأ فريق منهم إلى حمى نفسه يستقرئ دوافعها ويراقب هواجسها الخفية ونواحيها الداخلية وما ينشب فيها من الحرب والصراع بين شتى الميول والأهواء ؛ وقد وصف بعضهم هذه الحالات وصفاً دقيقاً مثل بروست الفرنسي وكافكا الألماني وجويس الإرلندي ؛ وقد تأثر بهم الكثيرون من ناشئة الكتاب وناشئة الجيل التالي لجيلهم . وفرويد شديد العناية بالفرد ، فهو من بعض الوجوه من أقوى أنصار الحرية الفردية في العصر الحديث ؛ وقد حاول فرويد أن يقيم الأدب على أسس مغايرة وقواعد جديدة ؛ والفن في رأيه هو المنقذ للإنسانية من الضلال ، وهاديها في بيداء الحياة ، وحيرة الوجود ؛ والدين في رأيه هو الخصم اللدود للفن . وقد جاء فرويد وأنصاره بأفكار عن طبيعة النفس بعيدة التأثير كثيرة النتائج ، وهي تعين على إقامة المجتمع على أسس جديدة واستحداث آداب ملائمة ، والأدب في حاجة على الدوام إلى مورد عذب يستمد منه الأفكار والتعاليم ويخرجها في المظهر الأخاذ ، ويخلع عليها الثوب القشيب ، وهو يتردد الآن بين النتائج من مختلف المذاهب السياسية التي تتصارع في العصر الحاضر وبين الناشئة عن الحرية الفردية .

والعامل الثالث الذي نريد الوقف تفقيداً ، هو الاختراعات المدنية ، وهي في العصر الحاضر قد تسربت إلى ميادين الأدب ومجالات الثقافة . وتقدم المخترعات الآلية سيرغم الأدب على مراجعة وظيفته والتفكير في واجبه ؛ فهل كلمة الراديو المسموعة متفوقة في المستقبل القريب عن الكلمة المطبوعة ؟ وهل يقلل تقدم فن السينما من الإقبال على قراءة الأقاصيص والروايات ؟

ويرى بعض الباحثين أن الشعر وحده هو الذي سينجو من الخطر وينفلت من المصير المحزن الذي يترقب الأدب ، وذلك لفضل ما فيه من المجاز والاستعارة والإيقاع والتنغيم ، وكذلك الأساطير لأنها وسيلة صالحة للتربية ، وهي تتغلغل إلى أعماق النفس لأنها لا تثير جدلاً ولا تتطلب حجة . ومصير الأدب موقوف على مصير المجتمع ؛ وقد تنبه إلى الخطر الذي يهدد الأدب في العصر الحاضر من ناحية تقدم الاختراعات العلمية الكاتب الفرنسي الكبير جورج دهامل ، واستوفى بيان ذلك في كتابه القيم « الدفاع عن الأدب » فهو يقول في الفصل الأول من هذا

مأساة...!

للأستاذ عبد العزيز البشري

قال لي صاحبي وهو في بعض حديثه :

« . . . ولم يكن سيد عشيرته فحسب ؛ بل لقد كان زعيم الاقليم كله ، وكان رحمه الله ألمعياً شديد الفطنة ، بعيد النظر ، صادق الحكم . يظل القوم في مجلسه يتحاورون ويتناقشون ويتنازعون ، حتى إذا فرغوا من شأنهم جلا موضع النزاع في يسر ، وحكم فيه أعدل حكم .

على أنه كان عييًّا شديد العيبة ، إلا أنه كان قادراً على أن يأخذ نفسه بالحلم فلا يستفزه شيء . بل لقد كان يضحك أو يتضاحك مما يغيظ أحلم الحلماء ، وعلى دعته كان يزخر بالمال ، فإذا أراد الحديث راحت على لسانه جمل يضطرب بينها ويتردد حتى لا يكاد يبين .

وداره واسعة ممتدة الأبنية ، ومن حولها حديقة واسعة جداً ، وهذه الدار لا تخلو مطلقاً من عشرات الناس في ليل أو في نهار . فمن طالب رفده ، ومن صاحب حاجة تدعو إلى قوة السعي . ومن متنازعين على مال أو على منصب يختصمان إليه . وجميعهم يأكل أحسن الطعام إذا جاء وقت الطعام . ومن طلب منهم المنام فله ذلك . فالدار كما قلت ، واسعة ، والفرش فيها كثيرة . وهي ، على الجملة ، كرحبة مالك بن طوق التي ظلت مضرب الأمثال من قديم الزمان . وما طالعت هذه الدار ، إلا حضرني قول مسلم بن الوليد في بعض ممدوحيه :

لا يرحل الناس إلا نحو حجرته
كالبيت يُفضي إليه ملتقى السُّبُل

وأما حكمه بين الخصوم فهو أسمى من أي حكم سواه [illegible] لأن الخصوم في ذلك قد يموِّهون الحقيقة بمنطق الحيل . أما حكمه هو فلا تمويه فيه ولا احتيال ، لأن أحداً في الاقليم لا يجرؤ على أن يُسِرّ لهذا الرجل عداوة ، فضلا عن أن يصارحه بها ؛ بل إن أحداً

الكتاب : « كل هذه المخترعات التي ابتكرت لتزيد في عقل الانسان وتفتح عينيه وأذنيه وتثير ملكاته وتسمو به ، ستصادر الآن جميعها لتقضي عليه وتخنق أنفاسه ، وترهق روحه ، وتهبط بمثله العليا ، وتستنفد نشاطه وحيويته . وهل تستطيع الحضارة أن تقوم على جهازي النظر والسمع ؟ » ويقول في مكان آخر من الكتاب نفسه : « يلزم أن يفهم الشعب أن أخطر الأغراض وأسماها والنعم الدنيوية ومظاهر التقدم جميعها متوقفة على استعمال العقل وتثقيفه وصقله ، وبدون الكتب تصبح حياتنا الاجتماعية والفردية مستهدفة لخطر الانحدار إلى الهمجية التي لا يُنقذ من دائها ، ويجب أن يعلم الجميع أن تثقيف العقل أمر جوهري للحياة الصالحة ، وأن الكتاب هو رمز الدين » .

ويعتقد المتفائلون أن امتزاج الأدب بالسياسة وتأثره بالاختراعات الحديثة وعلم النفس التحليلي ، سيفتح له أبواباً كانت من قبل موصدة ، ويمتد إلى آفاق رحبة جديدة ، ويبدأ صفحات طريفة في حياة العقل ومستقبل الأدب . والزمن وحده هو الذي سيفصل في هذه القضية القائمة بين المتشائمين المتوجسين والمتفائلين الآملين .

علي أدهم

لا يرضى لنفسه أن يَسوء رأى هذا الرجل العظيم فيه .

وكان يُؤْثِرُنى ويحبنى ويعطف علىّ عطفاً عزّانى عن فقد الأب أحسن العزاء . ولا يرضى فراقى له إلا مكرهاً ، ولو لا أنى رجلٌ موظفٌ فى الحكومة يؤذينى فى رزقى انقطاعى من عملى لأمسكنى ، على الدهر ، ولم يسلنى أبداً ، فإذا طال إبطائى عنه فى القاهرة بعث من يستدرجنى إليه بشتى الوسائل .

وقد بدا لى أنه لا بد كان يلاحظنى وأنا على طعامه ، لأنى رأيت أنه كلما استطبتُ لوناً من ألوان الطعام فأكثرت الإصابة منه ، قُرِّب إلىّ فى اليوم التالى هذا اللون نفسه ، فإذا هو أطيبُ وأجود . وهكذا حتى يلاحظ إعراضى عنه وإقبالى على غيره .

أحببته أكثر مما أحبنى أو مثلَ ما أحبنى ، فإنى أشكّ فى أن حبّه لى وعطفه علىّ مما يحتمل الزيادة .

* * *

وفى يوم أسود رجعت من عملى بعد الظهر ، وما إن بلغت الدار حتى تقدّمت بإعداد غدائى . وكنت جائعاً متعباً . وفيما أنا فى الانتظار إذ دقّ جرس التليفون ، وإذا الأذان بأن الحديث من بلدة كذا ، وإذا المتحدث أكبر أولاده . قال فى سرعة : احضر يا فلان حالاً ، فوالدى فى حال شديدة جداً ، بحيث لا يجرؤ أحدٌ على كلامه أو الدنوّ منه ، فلعلك أنت بموضعك منه ، الذى يستطيع أن يستدرجه لحديث . وأرجو أن تفرج عنه بعض الفرج .

فقلت له : ما الخبر ويحك ؟ فقال : إن فلانة ، يعنى صغرى إخوته جميعاً ، قد غابت وانقطع الخبر عنها من ثلاثة أيام . ولم يجد البحث والتفتيش وقلب البلاد ظهراً لبطن فى طلبها فتيلاً . فهتفتُ من فورى بأهل الدار أن يمسكوا عن إعداد الطعام ، ويُعِدّوا حالاً حقيبة السفر . وأرسلتُ فى طلب سيارة أدركت القطار فى آخر لحظة ، ونزلت هناك

فإذا سيارة الباشا فى انتظارى ، وبلغت الدار . وما كدت أطّلع على الحديقة حتى تماطرنى منظر هذه الجماهير من الناس ، شغلت كلّ رقعة ، واحتلت ظلّ كلّ شجرة . وجزت إلى فناء الدار فإذا خلق كثير جداً ، وكلهم جالسٌ مطرقٌ لا ينبس أحد منهم بكلمة ، وقد اغبرت الوجوه جميعاً ، والباشا جالسٌ على طرف دكّة لا يشغلها معه أحد . فلما طلعت على المجلس أومأ إلىّ أن أجلس بجانبه ، فجلست ، وما سلّمت عليه ولا هو حيانى ، وأطرقت كما أطرق سائرُ الناس .

ولقد قلت لك إنه ساكتٌ لا يتكلم ، ولكنه كان فى كل فترة يزفر زفرة حرّى ، تحسبه كانت ولا شك بخاراً من لهيب يتسعّر فى الأحشاء . وجلسنا على هذا يومين ، وفى الصباح الباكر لليوم الثالث أومأ إلىّ بأن أسافر ، فنزلت على إشارته ، ورجعت إلى القاهرة لأنى عنى فيها ، (١) منطقة باهتة فى الفكرة التى اعترتنى من اللحظة الأولى ، هذه الفكرة التى يوحى بها أبسطُ واجبات الحب والولاء ، وعرفان الجميل لهذا الرجل العظيم : وتلك أن أطلب إجازة طويلة أقضيها فى التقلّب فى البلاد باحثاً مفتشاً منقباً عن بنته العزيزة . ولو دعا الأمرُ إلى التنكّر والاضطراب فى مختلف الأزياء . ولقد اشتد بى الوجد مما دهى صديقى العزيز ، وقد علت به السنّ ، وأشرف على نهاية العمر ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلىّ العظيم !

* * *

وقبل أن أسترسل إلى غاية هذا الحديث أصف لك وصفاً موجزاً هذه البنت المختفية من بضعة أيام :

لقد كانت سنها بين الرابعة والخامسة . حلوةً جميلة جداً . بيضاءَ الجسم ذهبية الشَّعر ، بالغة غاية الأناقة فى ثوبها الفاخر الثمين . تراها فتحالها دُمية خرجت من معرض

تأرج (الوردة) العالي الشباب، خفيفة الروح، حلوة الحديث، وخاصة إذا أطلقت ما يُلقى عليها من كلام حيالَكِ زادت به الإطراف والإضحاك. ولي معها في هذا مواقف كلها ضحك وإطراب، وكانت لذلك تحشر في كل هبطات إلى دارهم. وكنت أحبها كحب وبنى الأعزين. وكانت قرة عين لأبيها، وناهيك بأسير الأولاد، وخاصة إذا كانت مثل هذه الدرة في الحلاوة والنقاء؟

* * *

هبطتُ القاهرة، وقد جمعتُ النيةَ الصادقة الماضية على ما أسلفتُ عليك، وسألتُ الإجازة لشهر ونصف الشهر. ومضى يومان وأنا في انتظار الإذن لي فيها، على أني أوالي السؤال (بالتليفون) كلَّ ساعة، فإذا بصاحبي: الشقية ما تزال في الغيب المحجوب. وإذا والدها المسكين على حاله، ولم يزل يعاني ذلك العذاب المشق الأليم.

وانقلبتُ إلى الدار في اليوم الثالث [illegible] وتقدمت بإعداد عداقي، فإذا جرس (التليفون) يرن، وإذا ولد صاحبي يدعوني، في فرح ظاهر، أن أحضر لأهنئ أباه الشيخ، فلقد عُثر على أخته فلانة، والحمد لله. فقلتُ مسرعاً: وكيف عُثر عليها، وأين كان ذلك؟ قال: لقد أمر وزيرُ الأشغال، حين انتهى إليه احتمالُ غرقها، بتجفيف بحر (كذا). وكذلك ألفينا جثتها في الموضع الفلاني (وهو يقع على بضعة أميال من الدار). وقد أكرمها الله تعالى، فلم ينل من جثمانها السمكُ كثيراً ولا قليلاً.

وأسرعتُ بإعداد جبة السفر، وخففت إلى لقاء صاحبي، فإذا جموعٌ كثيرة، تلغو وتتقاول، في مرح وانبساط، وإذا صاحبي يظهر عليه طيب النفس وانبساط أسارير الوجه. ولم يكد يراني حتى خفّ للقائي في بعض طريقي إليه. وما إن توافقنا حتى عانقني وجعل يقبّلني وجعلتُ أقبّله وأنا أشعر أن الدنيا لا تكاد تسعه من سرور وصياح!

ثم جعل يحدثني، كعادته، أحاديث هذه الدنيا حتى انصرف الناسُ عن مجلسه، قافلين إلى دورهم، أو ثاوين في داره، إلى فُرُشهم؛ وحينئذ جذبني إلى حجرة جلوسه الخاصة، وكُنّا بالتفرد، وربما تلاعب به إلى ما بعد انتصاف الليل، وهو كلما انتهى وثبت يقبل عن حديث طريف. على أنه لا يُلمّ بشيء من حديث بنته الغرق، لا من قريب ولا من بعيد!

الله أكبر! الله أكبر! إذاً لم يكن هذا الوجد كلّه، ولا هذا الوله الرعبُ المهولُ من أن البنت قد أدركها الغرق أو أنها ماتت على أي شكل من الأشكال، وإنما الجزع كلّه من أن تمسي في ولاية خاطف مجرم من النساء أو الرجال!

ماذا عسى أن يكون مصيرُ الفتاة؟!

هذا ما طار بأحلام الظنون كلَّ مطار. وهنا يغلي صدر هذا الشيوخ غليان القدر، حتى لتكاد تتصدع الأضلاع، لولا ما كان يروّح عنها من ذلك الزفير، تتنفس به لَزُّ السعير!

لقد أصابتها منية، وإذاً لقد سَلِمَ الشرف. وحسبه، فالشرف هو كل شيء في هذه الحياة!

أكرمك الله، يا حبيبي، ميتاً، كما أكرمك حياً، وأمتعك بملاعبة ابنتك الحلوة في دار النعيم».

* * *

وهنا جعل صاحبي يبكي وينشج حتى لم يعد يقوى على كلام. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وإنا لله وإنا إليه راجعون!!!

عبد العزيز البشري

قصة عربية

زنوبيا

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

[كانت تدمر (بادية الشام) عاصمة عظيمة لتجارة الشرق ، ذات ثروة طائلة ومدنية متقدمة . وكان أميرها أذينة فارساً باسلاً ، يحب الصيد ، صيد السباع ، ويستصحب امرأته زنوبيا في هذه المخاطرات . وكانت زنوبيا من أهل بيت الإمارة في تدمر ، وتنتمي بالنسب إلى جدتها كليوبترة ملكة مصر ، وتشبهها في ذكائها وجمالها وثقافتها — وسمع أذينة من جراح أصابته في قتال مع أسد ، فساور زنوبيا خوف شديد ، ولم تجد سلوى إلا عند وصيفتها النبيجة (ليلى) ؛ وذلك لأنها نفثت إليها الأحزان التي أثقل في خوفها ، حتى كأنها مالت إلى دين المسيح . وكانت ليلى تحب شاباً في جيش أذينة اسمه سنان ، وهو مسيحي الأصل ، فعرفت زنوبيا في أحاديثها مع وصيفتها سر حبها له ؛ ولما كانت الفتاة تجهل حقيقة حبها ، وتظن أنها إنما تصادقه في الإيمان بالمسيح . وتلقى أذينة خبر في مجلس خمر مع أصحابه ، وفي أثناء ذلك أتى إليه سنان يحمل نبأ خطيراً جاءت به الرسل إلى تدمر ، وهو أن سابور ملك فرس هزم أمبراطور الروم (فاليريان) وأخذه أسيراً . وكان أذينة قد [illegible] ، [illegible] في [illegible] . ولما صحا من سكره في اليوم التالي عرف ما كان منه ، فاستحى وامتعض [illegible] ، وقال لا يشرب الخمر حتى يرى ما يكون بينه وبين سابور . ولكن زنوبيا أخذت [illegible] في [illegible] على أن يرسل إليه هدية كريمة يخطب بها مودته ، و[illegible] أذينة [illegible] في [illegible] من هذه ذلك القلق . وفي أثناء ذلك الصيد [illegible] وكاد يودي به ، ثم أمر بسجنها] .

لم تستطع زنوبيا بكل ما كان لها من ذكاء وجمال وحماسة أن تزيل من قلب زوجها الثائر أثر ما أحسه من ذلة منذ عاد من صيده ، فقد استقر في نفسه أن ابن أخيه قد ألحق به مهانة لا يمكنه أن يمحو معرتها إلا بسطوة قاسية تذكر الجميع بأنه سيد تدمر وبطل العرب وحاكم الشرق كله من جانب الفرات إلى حدود مصر . وقد حاولت أن تعيد إليه ثقته بنفسه ، وأن تذكره بأن إجلال العرب له وخضوع أهل تدمر لحكمه وسلطانه العظيم على الأرض الفسيحة التي كان يحكمها ، لا يمكن أن يؤثر فيها حادث تافه كالذي كان بينه وبين فتى من أهله ، وأنه قد يسرع إلى أذى الفتى ، فإذا هدأت سورته أعقبت له ندماً وألماً ، بل إنها مزجت حديثها بكثير من الفكاهة وخلطت بالمداعبة كي تدله على أن مثل ذلك الحادث لن يسمع به أحد ، وأنه إن مضى في عقابه وبالغ في قسوة عقوبته كان ذلك أدعى إلى ذيوع القصة وسير الركبان بحديثها . ولكن كل ذلك لم يجد مع الأمير شيئاً ، وقضى الليلة التالية مضطرب النفس متقد الغضب .

ولقد هم أن يغرق همه في الشراب ، وأمر بتجهيز الخمر ، ورغب في أن يرسل يدعو بعض أصحابه لعله يجد في سورة الكأس وحديث الندمان ما يشفيه الحنق ، ولكنه عدل عن ذلك عندما ذكرته زوجه أنه قد آلى على نفسه ألا يشرب خمراً حتى يرى ما يكون من أمره مع سابور . فإن زنوبيا خشيت أن يعرف عنه الناس أنه يحنث بقسمه ، وما ينبغي لأمير مثله أن تذيع عنه تلك النقيصة . ورأت

أن تتحمل ثورته ، وأن تحاول ما استطاعت أن تهدئ منها ، فإن ذلك خير من أن يدع غضبته في نسيان الخمر ثم يجئ من ورائها ما لا يدرى أحد ما يكون أثرها في مواطف الحرب التي تتحول وتتقلب كما تتحول رمال الصحراء مع العواصف .

ولم تجد بداً بعد كل ما احتالت فيه من إقناع ونصح من أن تدعه لما رآه ، وأن تقره على العقوبة التي اعتزم أن يوقعها بالفتى المسكين الذي أوقعه القضاء عفواً في سبيله . ولكنها مع ذلك لم ترجع بخيبة تامة ، إذ استطاعت أن تحول بين أذينة وبين أن يسطو بالفتى سطوة لا تداوى ، وحمله على أن يقنع من العقوبة بأن يبقيه في السجن مدة حتى يرى فيه بعد حين رأياً .

وكان ممن أحب أهل أذينة إلى زنوبيا ، فقد كانت ترى فيه فارساً كاملاً ، سابق القول ، أبي النفس ، عفيف اللسان ، وكانت تتمنى في نفسها أن يكون بعلاً لإحدى ابنتيها إذا ما بلغت إحداهن مبلغ النساء ، حتى يكون ساعداً قوياً لابنها وهب اللات إذا ما آل إليه الأمر من بعد أبيه ومن بعدها .

ولذلك كانت وهي تسعى في تسكين غضب أذينة عليه تزن كلماتها وتفكر في حججها قبل أن تختار منها ما ترى فيه القوة ، وتتأمل مجرى ثورة زوجها لتنظر من أي جهة تتقدم نحوها ، لكي تصل بها إلى ما يكفل سلامة الفتى من بطشه ، فلما تحقق لها شيء من الظفر بأن اكتفى أذينة بسجنه ، أحست شيئاً من الارتياح ، ووكلت إلى الأقدار أن تواتيها حتى تعيده إلى مكانته فيما بعد ، وترد إليه رضاء عمه عنه .

ولما انقضى أكثر الليل ذهب أذينة إلى مخدعه لينام ، وذهبت زنوبيا إلى مخدعها ، وصرفت وصيفاتها وخدمها وبقيت وحدها تحاول النوم ، ولكنها لم تجد إلى النوم سبيلا ، وتزاحمت عليها الهموم وأحست في نفسها ضعفاً ، أذهب عنها ما اعتادته من قوة الأمل في المستقبل والثقة بالنفس ، وأرادت أن تتسلى بالقراءة فجلست تقرأ في إلياذة (هومير) ولكنها لم تقرأ إلا سطوراً قليلة ، ثم رمت بالكتاب متبرمة ، وتناولت كتاباً في فلسفة إفلاطون كان معلمها لونجين يقرؤه لها فتشعر بالاطمئنان والسمو ، ولكنها ما كادت تنظر فيه حتى قذفت به على أريكتها قائلة : ما أعرف هؤلاء الفلاسفة الحياة .

ثم زاد بها الضعف حتى رأت نفسها تنتفض وتهتز ، وارتمت على أريكتها تنشج وتبكي بكاءً شديداً .

وقضت في تلك الحال حيناً ، ثم تمالكت نفسها وكان البكاء قد نفس كربها ، فقامت وغسلت وجهها بماء معطر ، وجعلت تتذكر ما مر بها في ذلك اليوم ، وأخذت تجادل نفسها وتواجهها حتى عاد إليها اطمئنانها ، وتنفست نفساً عميقاً [illegible] وفتور يسري في جسمها فذهبت إلى فراشها لتستقبل النوم بعد قليل .

وصحت في غداة اليوم التالي ، فذهبت إلى مخدع زوجها فوجدته قد ذهب إلى إيوانه ، فاستعدت للذهاب إليه ثم قصدت مجلسه فوجدته مع معلمها لونجين وحدهما ، وقد أمر الحاجب ألا يدخل عليهما أحداً وهما يتحدثان ، وقد بدا عليهما الجد والحيرة . فأسرعت داخلة إليهما ، وقام زوجها لاستقبالها ، ووقف لونجين في مكانه وانحنى يحييها ، وقد اكتسى وجهه فجأة بحمرة شديدة . فحيت زوجها وجلست إلى جانبه وتبسمت لمعلمها ، ثم نظرت إلى أذينة كأنها تسأله عن علة حيرته ، فنظر إليها وهو يحاول كتمان ما في نفسه وقال :

— لقد حمل إلي السيد البجل أنباء جليلة .

فالتفتت إلى معلمها لفتة سريعة وقالت :

— خيراً ما أتى به صديق الجليل.

فأخذ لوغين يتكلم وهو مطرق، وكان حديثه مرتبكا متقطعاً فقال:

— كنت أحدث مولاى الأمير عما بلغنى الساعة من رسول (مقريان). لقد عرفنا (مقريان) قائد الإمبراطور (فاليريان) ونائبه على الجيش فى الشام.

ووقف عن الحديث لحظة نظر فيها إلى أذينة ثم إلى زنوبيا ووقعت عينه على عينيها البراقتين فوجدهما متلهفة كأنها تسأله الإسراع، فأغضى، وعادت إلى وجهه الحمرة وارتبك قليلا ثم استأنف وهو يمسك نفسه:

— أعلن (مقريان) أنه لا يرضى بالإذعان لحكم ابن الإمبراطور الحدث الذى اختاره شيوخ روما، وقد بايع جيش الشام لمقريان وساعده صديقه (قاليستوس) فأعلنا عزل الإمبراطور (جالينوس) ابن سيدهما.

وصمت لحظة ثم هز رأسه وقال كأنه يناجى نفسه:

— هذا الملك يفرق الناس من واجبهم ويخلعهم عن أعمالهم. إنهما أقسما لولى نعمتهما (فاليريان) أن يرعيا ولده جالينوس إذا حدث به حادث الموت فى حرب (سابور). وها هو ذا سيدهما لا يزال حياً وإن كان أسيراً مع الطاغية المنتصر، وهاهما هذان يخلعان الطاعة ويشقان العصا ويثيران فتنة عمياء.

وساد المجلس سكون عميق، وكانت (زنوبيا) شاخصة ببصرها إلى الفضاء من وراء النافذة، كأنها تستشف حجب الغيب لترى ماذا تأتى به الأيام فى ذلك المعترك المضطرب. ولما طال الصمت رفع (لوغين) رأسه ونظر إلى زنوبيا كأنه ينبهها إلى الحديث فالتفتت إليه وقالت فى بطء وتردد:

— إذاً فالجيش الرومانى معهما؟

فتنبه أذينة لقولها، والتفت إليها قائلا:

— الجيش معهما، ولسنا ندرى ما يكون من أمر سابور، فقد أبطأ علينا خبره، ولم تعد إلينا الرسل من عنده.

فتحرك (لوغين) فى قلق، وظهر عليه شىء من الغيظ، ولكنه كظمه وقال متأنياً فى كلامه:

— حقاً أن الموقف محفوف بالمخاطر، فجيش الشام قوى، ولا أظننا نقوى على مناوأته — ولسنا ندرى بعد ما استقر عليه عزم سابور، ولكن...

وتوقف لحظة، فنظر إليه الأميران فى دهشة لا يدريان ماذا يريد أن يقول، فاستأنف قائلا:

— ولكن لا يخفى عليك أيها الأمير العظيم وأنت صديق (فاليريان) أن تشارك من يخونونه فى ابنه. ألا [illegible] تدمر من قبل الإمبراطور أن تتم [illegible] روما الشرعى. فما يليق بك أن تنادى باسم غير اسم جالينوس.

فدخل شىء من الغضب فى قلب أذينة، إذ رأى قول الشيخ الرومى يشبه أن يكون عظة وأمراً، ولا يشبه ما يكون من قول أهل السياسة، وقال مسرعاً:

— ومع ذلك الذى تذكر من ولائى فضلا للروم، ومن واجبى نحوهم. فأنا سليل الحيران بن أذينة الذى كان يحمل لقب رأس تدمر فى أيام ملوك العماليق أجداد الأميرة زنوبيا، وذلك قبل أن تعرف تدمر الروم.

وأرادت (زنوبيا) أن تخفف من وقع كلام بعلها على زوجها الشيخ، فقالت بصوتها الرخيم:

— لا شك فيما تقوله أيها الأمير الجليل، ليس للروم

عليك حق ، وإنما يكون النظر في مصلحتك وتخير السبيل لك .

فارتاح أذينة لقولها ، وسرى عنه ما أحسه من قول لونجين وقال :

— هذا حسن ، فأى سبيل تسلك وهذه جيوش (مقريان) تحدق بنا من قبل الشام ، وهذه جيوش سابور تنحدر إلينا من الشمال ؟

وكان في قوله متجهاً إلى لونجين كأنه يتحداه ، فسكت الرجل لحظة ، ولكنه لم يتخاذل ، بل تغير مظهر وجهه ، فاكتسى عزماً قوياً كأنه مقبل على مصارعة . ثم قال في هدوء ينم عن ثورة :

— السبيل واضحة يا مولاى . إن (مقريان) لم يثر على جالينوس لكي يمهد لك ملكك ، أو لكي يتركك هنا آمناً . وليس مقريان بآمن من مكانه حتى [illegible] إلى طيبته ، فإن دونه عدوين عظيمين [illegible] على يديه جالينوس يجمع فلك الشام في أمن وسلام [illegible] ولن يرضى سابور أن يصبح على يساره ملك في رأس جيش روماني كثيف .

وسكت لحظة ليرى أثر قوله في الأميرين ، ونظر إلى زنوبيا فوجدها تنظر إليه باهتمام كأنها تدرك معنى قوله وتوافقه عليه ، فشجعه ذلك على المضي في الحديث فقال وهو أكثر حماسة :

— فإذا أنت وافقت (مقريان) على خيانته ....

ثم تردد قليلا . وتدارك كأنه يقول :

— إذا وافقته على ثورته لم تأمن على عرشك بعد حين ، وصرت عدواً لدولة الروم الواسعة التي لا تزال تعترف لامبراطورها جالينوس .

ولما انتهى من قوله ساد الصمت حيناً طويلا حتى سمع صوت أقدام تقترب من باب الإيوان . ثم فتح الباب وأعلن الحاجب قدوم القائد (ورد) في أمر خطير حمله إليه البريد . فقام أذينة متلهفاً وقال للحاجب :

— أدخله سريعاً .

فدخل (ورد) وعلى وجهه آيات الغضب والثورة . فتقدم أذينة نحوه وقامت زنوبيا ولونجين يستمعان إليه في لهفة . ولم يصبر أذينة حتى يتكلم الرجل بل بادره قائلا في شبه صيحة :

— ورد ! ما وراءك ؟

فوقف الرجل في ملابسه النحاسية وعلى رأسه البيضة النحاسية ، وعلى صدره الدرع وهو في سلاحه الكامل ، ورفع رأسه مقطباً جبينه ، وقال :

— هي الحرب لا مناص منها .

فصاح أذينة وقد نفد صبره :

— [illegible] جاء به البريد .

فقال ورد ناظراً إليه وهو ثابت جامد :

— لقد رد سابور الشقي هديتك في الفرات وأطلق لسانه بالفحش .

فانتفض أذينة انتفاضة كأنه أحس طعنة في صدره ، ووضع يده على مقبض سيفه وقال في حنق :

— لتكونن وبالا على داره . قل ولا تحجب عني شيئاً . أي رسالة بعث بها إلى سابور ؟

فأطرق الرجل كأنه لا يقوى أن ينظر إلى الأمير وهو ينقل رسالة سابور وقال :

— بعد أن أمر بإلقاء كل ما في القافلة في الفرات . قال للرسول :

— من أذينة هذا حتى يطاول الملوك ويهاديهم . أليس هو من بعض لصوص الصحراء وصعاليك العرب ؟

فإن أراد أن يخفف من عقابه فليأت إلينا جاثياً ويسجد أمام عرشنا في القيود طالباً منا العفو . وإلا فالويل له ولقومه والويل لتدمر !

وكان أذينة وهو يسمع هذه الرسالة يزفر ويعض بأسنانه وينتفض ويتحرك من مكانه حتى انتهى وورد من قوله ، فصاح كأنه ينادي في ميدان قتال :

— الويل له ولقومه والويل لفارس !

وكانت زنوبيا تسمع هذا القول مضطربة ، ولكنها كانت تحاول أن تملك نفسها . وأما (لونجين) فكان يلوح عليه شيء من الهدوء ، كأنما قد سره أن يسمع تلك الرسالة .

والتفت أذينة إلى زنوبيا فقال صائحاً :

— أسمعت ؟ أما كان أولى بنا أن نبدأ بالمبادأة ؟

ثم التفت إلى لونجين قائلاً :

— وماذا تقول يا أيها السيد الحكيم الذي كان أولى بنا لو بدأنا بالحرب ولم نبذل ثمن هذه الإهانة ؟

ولكن لونجين لم يتزعزع بل نظر إليه قائلاً :

— لا يا مولاي . أنت الآن أعز وأقوى . الآن لن تخذلك العرب لأنهم رجالك وأولادهم . وقد استطعت أن تستعد في هذه المدة ، فأنت اليوم أقرب إلى النصر

فلان أذينة وخشع قليلاً ثم نظر إلى وورد فقال :

— الليلة نجتمع هنا لندبر أمر الحرب . اجمع القوم هنا الليلة ، فلا يتخلفن أحد من رءوس تدمر . ادعهم جميعاً ولا تنس أحداً منهم : صاحب السقاية أمير البيتين ، وصاحب الرفادة ، وصاحب الحجابة ، وسادن بعل ، وأمير العير ، وصاحب السوق . ادعهم جميعاً . فوحق اللات وعجل بعل وشمس بعل وشيمة القوم وحق كل آلهة تدمر لأشنها حرباً عوناء على سابور .

(يتبع) محمد فريد أبو حديد

صور هجوية (كاريكاتورية) — بقلم لورد ادوارد سيسل (١)

مكاتبات رسمية ...... سنة ١٩١٦

تمهيد :

إن روح الفكاهة الخفة منحة من أعز المنح التي تجود بها الطبيعة على بعض الناس . وذلك على الرغم مما يحاوله الكثيرون من اصطناع هذا الروح وهم عنه جد بعيدين . وقد اشتهر البريطانيون بأنهم أهل جد حتى لا يكاد يصدق الانسان أنهم يتذوقون الفكاهة كما يتذوقها غيرهم من الناس . ومع ذلك فقد أوتى بعض كتابهم حظاً عظيما من القدرة على الدعابة . ويجد القارئ مثالا بارزاً من ذلك في كتابات لورد ادوارد سيسيل الذي قضى عدة سنين في خدمة الحكومة المصرية وهو يعمل مستشاراً ماليا لها .

وكان هذا السيد قد اعتاد أن يبعث إلى أسرته في انجلترا رسائل من مصر يضمنها بعض مشاهداته وملاحظاته . وهي رسائل تفيض بالدعابة المرحة الحلوة التي تنطوي على كثير من الحق المر . ولقد جمعت هذه الرسائل أخيراً في كتاب رأى ناشره أن يدل على قدره فصدره بقوله :

« إن هذا الكتاب من حقه أن يشترى — ومن حقه أن يقتنى — ولكن لا يجوز في حقه أبداً أن يعار فإنك إن أعرته لن تستطيع استرداده . وإن استعرته لن تستطيع رده ! »

والصور العربية الواردة في هذا الكتاب مطبوعة كلها بالطابع (الكاريكاتورى) . ففيها شيء من المبالغة ، وفيها شيء من التضخيم والتجسيم . ولكنك تجد الحقيقة ماثلة رابضة تحت كل هذه التلافيف التي تغلف الكاتب في شكلها وفي عرضها .

وليس ينبغي أن ينسى الانسان أن هذه الرسائل كتبت في زمان غير زماننا الراهن ، وظروف غير ظروفنا الحاضرة . فإذا ما عرضنا في المستقبل لصورة من الصور التي يتضمنها هذا الكتاب ، فليس يجوز أن يخص القارئ ما قد يجده فيها من الاشارات اللاذعة ، ولكن هذه الصور حافلة بهذه الاشارات ، فلنضحك لها ، ولنتمتع بها ؛ ثم لنشكر صاحبها الذي قدمها لنا في هذه الصورة الطريفة ، لكي لا يصيبنا بكل ما فيها من حق مرير .

ولكي نهيئ القارئ لما قد ننشره من فصول هذا الكتاب خاصاً بمصر والمصريين ، رأينا أن نبدأ بهذه الصورة — الدولية — التي ننشرها اليوم . وهي تمثل مقدار ما تحمله المكاتبات الرسمية ... عادة من صنوف اللبس وألوان الغموض . وما تنتهي إليه في الغالب من الفشل وخيبة الأمل . وسيرى القارئ بعد مطالعتها أنها ، وإن كانت لم تعد تصور حالة المكاتبات (المصرية) ، إلا أنها لا تزال صادقة بالقياس إلى مصر وإلى غير مصر !

***

(١) تخرج في إيتون ، ثم دخل الجيش الانجليزي . وعين ياوراً للورد كتشنر ، وحضر معه في معركتي عطبرة وأم درمان . واشترك أيضاً في حرب البوير . ثم عين في سنة ١٩٠٥ وكيلا لوزارة المالية المصرية . وأخيراً عين مستشاراً ماليا للحكومة المصرية في سنة ١٩١٢ . واعتزل العمل في سنة ١٩١٨ . ومات في نفس السنة بسويسرا .

وقد افترض الكاتب أن هذه المراسلات تبودلت بين وزارة الخارجية البريطانية ، وبين الجهة المختصة في مدينة القاهرة .

وصورها كما يأتي :

أول يناير — من وزارة الخارجية إلى القاهرة .

١٠١ — رئيس وزارة اليونان يرغب في توريد حبوب . هل يمكنكم ذلك ؟

٤ يناير — من القاهرة إلى و . خ .

٤١٦ برقيتكم رقم ١٠١ غير مفهومة . أين يريد التوريد ؟ هل يريد التوريد لمصر ؟

٨ يناير — من و . خ . إلى القاهرة .

١٠٣ — رئيس وزارة اليونان يرغب توريد الحبوب إلى اليونان . هل يمكنكم ذلك ؟

١١ يناير — من القاهرة إلى و . خ .

٤٢٠ — برقيتكم رقم ١٠٣ — [illegible] عدة مرات !

١٢ يناير — من و . خ . إلى القاهرة .

١٠٨ — نأسف لأن الصورة (وشفت) . ما هو جوهر برقيتنا رقم ١٠٣ ؟ فيدونا إذا أمكن !

١٤ يناير — من القاهرة إلى و . خ .

نأسف لأن برقيتكم رقم ١٠٣ وشفت هنا . المعتقد أنها خاصة برئيس وزارة اليونان .

١٦ يناير — من و . خ . إلى القاهرة

١٠٨ — رئيس وزارة اليونان يرغب في توريد حبوب إلى اليونان . هل يمكنكم ذلك ؟

١٩ يناير — من القاهرة إلى و . خ .

٤٢٨ — برقيتكم رقم ١٠٨ . سبق أن وردنا حبوباً إلى اليونان عدة مرات . وكان السائد أن الرسالات تحول إلى الجيش الألماني .

٢٢ يناير — من و . خ . إلى القاهرة .

١١٢ — برقيتكم رقم ٤٢٨ . إذا وردتم الحبوب إلى رئيس وزارة اليونان ، فأية احتياطات تقترحون اتخاذها لمنع تسربها إلى الجيش الألماني ؟ وهل يكون في ذلك ضيافة رئيس الوزارة شخصياً ؟

٢٤ يناير — من القاهرة إلى و . خ .

٤٣٠ — برقيتكم رقم ١١٢ . ضيافة من من رؤساء الوزارات تقترحون ؟ نحن نفضل ضيافة مسيو ريلي إلا كان لا يزال في منصبه !

٢٧ يناير — من و . خ . إلى القاهرة .

١١٤ — برقيتكم رقم ٤٣٠ . كنا نشير إلى رئيس وزارة اليونان . فالأمر يقتضنا رأيكم في أسرع وقت ، لأن الموضوع مستعجل ورئيس يحب كل تأخير !

٨ فبراير — من القاهرة إلى و . خ

٤٣٥ — برقيتكم رقم ١١٤ . لتجنب التأخير نقترح رسالة شخصية كتابية من رئيس وزارة اليونان تحمل توقيع قنصل بريطانيا في بيريه . وتكون مصحوبة بموافقة الحكومة البريطانية . وتصديق الدرز السالم لصاحبة الجلالة بالإسكندرية .

١٠ فبراير — من و . خ إلى القاهرة .

١١٨ — برقيتكم رقم ٤٣٥ . نوافق على قبول ضمان وتضامن ملك اليونان . والأرشمندريت . ورئيس وزارة اليونان مصحوباً بتوقيع كبير التجار البريطانيين في بيريه مستر كارل سوتشان ! ما مقدار ما تستطيعون تصديره ؟

١٣ فبراير — من القاهرة إلى و . خ .

٤٤٠ — برقيتكم رقم ١١٨ . سيصلكم ردنا بأسرع ما يمكن . ولكن لا بد من انتظاره بعض الوقت . لأننا لا نعرف بالضبط أي مصالح الحكومة المصرية مختصة بهذه الشئون . وقد اتصلنا لتاية الآن — ولكن بغير جدوى —

مع مصلحة المجاري العمومية ووزارة المعارف العمومية . ووزارة الحربية . والزراعة . والأشغال العمومية . والأوقاف . وسنبرق لكم قريباً

٢٣ مارس — من القاهرة إلى و . خ .

١٥٠ — أسف لتأخير ردنا على برقيتكم رقم ١١٨ . فالموضوع معقد جداً . لأن السلطات البحرية تعارض في تصدير الحبوب . إذ تبين أن كثيراً منها يشتمل على زيوت مما يستعمل في الغواصات . فهل تستطيعون الإتفاق مع الأميرالية بهذا الشأن ؟

٢٦ مارس — من و . خ إلى القاهرة .

٤٩٥ — برقيتكم رقم ١٥٠ . تم الاتفاق مع الأميرالية . وستقوم بحراسة الحبوب في طريقها فسافلتان .

٢٨ مارس — من و . خ . إلى القاهرة .

٤٩٩ — برقيتنا رقم ٤٩٥ . تبين أن موضوع الحبوب أقل شأناً مما قدرناه في بادئ الأمر . فقد رئيس وزارة اليونان أخيراً يقول إن الحبوب لا تصلح لبقالة الحمرة التي ظهرت في السن وأصبحت مسألة ضئيلة جداً . وأن القدار المطلوب من هذه الحبوب يكفي فيه رطلان . فنرجو منكم إعداد هذا القدر وإرساله . والأميرالية قررت عدم ضرورة الحراسة نظراً لهذه الظروف .

٣١ مارس — من القاهرة إلى و . خ .

١٦١ — برقيتكم رقم ٤٩٩ . سنحصل على الحبوب المطلوبة فوراً . هل يمكن إخطارنا بحجم الببغاء على وجه التقريب . فقد علمنا من تجاربنا أن هناك علاقة وثيقة بين حجم الطائر وحجم الحبوب التي تليق لتغذيته .

٧ أبريل — من و . خ . إلى القاهرة

٥٠٦ — برقيتكم رقم ١٦١ . أوقفوا تصدير الحبوب !

٨ أبريل — من القاهرة إلى و . خ .

١٦٥ — برقيتكم رقم ٥٠٦ . أوقفنا التصدير !

— ١٢ أبريل — من و . خ — إلى القاهرة

٥١٠ — برقيتكم رقم ١٦٥ . نظراً لوصول إخطار لنا من انتقال ببغاء رئيس وزارة اليونان إلى رحمة الله في الأسبوع الماضي بسبب سوء الهضم . فلا ضرورة إلى اتخاذ خطوات جديدة في موضوع الحبوب .

(طبق الأصل)

ج . ع

حاشية — إذا أراد القارئ أن يستوعب كل ما في المقال من فكاهة فليعد قراءته على ضوء هذه النكتة التي انتهى إليها .

مشكلاتنا الاجتماعية الكبرى :

مشكلة الطلاق في مصر

في عام ١٩٣٩ عقد في القطر المصري ١٨٣٨٢٣ زواجاً، يقابلها ٥٧٩٩٩ طلاقاً ... أي أن نسبة الطلاق في تلك السنة كانت ٣٣٪ على وجه التقريب، وهي في الواقع نسبة مرتفعة جداً ومخيفة إذا قيست بنظائرها في الدول المتمدنة الأخرى. فقد كانت في فرنسا، بلد الإباحية المطلقة ٦,٨٪، وكانت في بريطانيا ٣,١٪، وفي كندا ٩,١٪.

ويبدو جلياً من ذلك أن مصر — ولا فخر — أولى الدول في الطلاق. وإني لأعلم أن الكثيرين سيعزون هذه الحال المزرية إلى نظام الدين الإسلامي الذي يضع في يد الرجل وحده، تقريباً، مفتاح الطلاق يستعمله وقتما شاء، وحسبما يشتهي. وهذا الزعم يرتكز إلى حد كبير على ذلك من الناحية الشكلية فحسب، لأن هؤلاء الزاعمين يجهلون، أو يتجاهلون روح الشريعة الإسلامية السمحة، وأهدافها الاجتماعية السامية. ذلك لأن كل قانون في الوجود — سماوي أو وضعي — يحيا بروحه، ويُحاسب بغاية الشرع منه، وإن كانت دماؤه تجري في شرايين نصوصه وحروفه. وكل تطبيق لا حق في تفسيره، وكل خطأ مقصود أو غير مقصود في تطبيقه لا شك يقتلان هذه الروح، ويبعدانه عن تلك الغاية.

والطلاق بوجه عام ليس شراً محضاً، ولا خيراً محضاً، بل هو نظام اجتماعي وعمراني سليم، لا غبار عليه وتحتمه الطبائع البشرية المفطورة على الاختلاف والتنافر. فهو إذاً ضرورة لا أكثر ولا أقل. وقد يكون أحياناً إجراءً مفيداً، ولكنه لازم كمبضع الطبيب. فنحن إذا ألزمنا بدوام المعاشرة — مثلا — زوجين استحكمت بينهما حلقات النزاع، واستعصى عليهما الوفاق والصفاء الزوجي، نكون — ولا شك — قد ارتكبنا في حقهما، وفي حق الأجيال القادمة من ذريتهما، بل في حق المجتمع كله، جريمة أكبر من جريمة السماح لهما بالفراق!

إلا أنه لما كان الطلاق ضرورة قاسية، وإجراءً مقيتاً في صميم كيان الأسرة التي يبنى عليها وعلى أمثالها المجتمع، فإن الله حين شرع نظام الطلاق جعله في أضيق نطاق، [illegible] تفسير نصوص القرآن في حدود هذه الغاية. وعلى ذلك تكون فوضى الطلاق الفاشية بين المسلمين اليوم ليست مطعناً في الدين الإسلامي — كما يريد أن يشيع المبشرون ورواة الإباحية — وإنما هي دليل قوي علينا على أن المسلمين قد أساءوا استغلال دينهم السمح، أو أخطأوا صوابه. فهذه الفوضى الاجتماعية لا يعقل أن يسوغها دين أو منطق أو عقل؛ وهي كلها تكاد تكون مترادفات لمعنى واحد.

وقد روى عن رسول الله أنه قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» وقال المرحوم شوقي بك في هذا الصدد كلمة بليغة مأثورة: «الطلاق حلال عليه بشاعة الحرام». وفي أخبار الصحابة أنه جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يبلغه أنه يريد تطليق زوجته لأنه لا يحبها، فأبى عليه عمر ذلك وصاح في وجهه: «أو لم تبن البيوت إلا على الحب؟ فأين الرعاية وأين التذمم؟» نظراً لما يجلب الطلاق من نكد العيش، وسوء المصير، واضطراب الحياة، والتشرد في الطرقات، وتكدير الصفاء. فالطلاق

يهدم في لحظات قصار ... تمر ما يستغرقه تحريك الشفتين ... صرحاً سامقاً عامراً أنفق في بنائه وتعميره الكثير من الجهد والمال والتفكير ، والعواطف الندية الرهيفة المبذولة من طيب خاطر ، ولذة غامرة .

ومن المألوف أن الزوج الذي مني بالفشل في زواجه الأول قلما يثق في المرأة بعد ذلك ، لأن الضربة الدامية التي تكون قد أصابته تقتلع جزءاً كبيراً من عواطفه ، وتميت قسطاً ضخماً من إحساساته الوجية نحو المرأة ، فتمزق نسيج الحب الرقيق اللاصق بقلبه ، وتقوض الإطار الشعري الذي رسمه خياله بريشته السحرية غير المنظورة للعائلة ، والسعادة الزوجية ، والبيت النموذجي !

فإذا قلبنا النظر في الطبقات التي يفشو فيها الطلاق ، استبانت لنا الخطورة التي تنطوي عليها تلك الحقيقة الاجتماعية الموجعة ، لأنها هي الطبقات التي تستطيع أن تخفف من أعبائها الزوجية بسهولة ... الفوضى التي تبثها في جوانب المجتمع ... تفسر هذا .

أولاً — المدن والأسر المتحضرة :

تذكر الإحصاءات أنه في مدينة القاهرة وحدها بلغت نسبة الطلاق في العام الماضي ٤٣ ٪ . ولو تركنا العاصمة وجدنا أنها كانت في الإسكندرية ٣٥ ٪ ، وفي دمياط ٣٤ ٪ ، وفي المنيا ٣١ ٪ ... الخ .

والشاهد أيضاً أن الأسر المتحضرة أو الأكثر تحضراً صارت تسبق غيرها من الطبقات في مسائل الطلاق .

والسر في كل ذلك أنه في المدن الراقية ، وفي الأسر المتحضرة ، تزداد أخطار الفوضى الاجتماعية الناشئة من كثرة المساكن الضيقة المتقاربة ، والإفراط في ألوان الإباحية وفنون الترف الجنسي ، والملاهي المفسدة للأخلاق ، والجمعيات المختلطة الصاخبة ، والمحاكاة العمياء ، ووسائل الزعامة التي تركت في نفوس الأفراد خلقاً رخواً ، وخيوطاً مائعة .

ثانياً — الأسر القليلة الأولاد :

ودلت الإحصاءات أيضاً على أن نسبة الطلاق ترتفع بين الأسر التي لم تنجب أطفالاً قط ، ثم تهبط كلما كان هناك أطفال ، وتتدرج بحسب عددهم . وليس ثمة صعوبة في إرجاع ذلك إلى أن الأطفال رباط روحي ومادي غليظ للآباء ، كما يتبين من الجدول الآتي :

	لا أولاد	ولد واحد	ولدان	ثلاثة	أكثر من ٣
١٩٣٨	٤٠٨٥٠	٩٤٠٢	٣٧١٥	١٣٠٥	١٠٥٤
١٩٣٩	٤٢٧٣٨	٩٩٩٧	٢٩٣٩	١٣٠٣	٢٣٣٢

ويعني ذلك أن الطفل الذي يعيش في كنف أمه المطلقة بعيداً عن أبيه الأعزب ، أو تحت رحمة زوج أمه أو زوجة أبيه ، هو أشقى حظاً من اليتيم الهائم على وجهه في الطرقات تتلقفه القلوب الرحيمة ، أو تحسن إليه الأكف الندية السخية . فلتصوره بين أبوين متباعدين يتجاذبانه أو يتنصلان منه ، فيحار : أيهما يحب فيقبل عليه ، أو أيهما يبغض فيزور عنه !

ثالثاً — طبقة الرجال

وثبت كذلك أن عدد الرجال الذين يحطمون أعشاشهم الزوجية بأيديهم ضعف عدد النساء اللائي يفعلن ذلك ، لأن الطلاق أسهل على الرجل منه على المرأة في أغلب الأحوال ، وفي معظم الشرائع .

ثم إن المرأة الشرقية اعتبارات خاصة تدعوها دائماً إلى التريث في هجر زوجها إلى الأبد . وهذه الاعتبارات

منشؤها التقاليد التي تجعل حصول المرأة المطلقة على زوج جديد أمراً صعباً .

رابعاً — بحسب سن المطلقين :

لوحظ أن أغلب المطلقات بين سن العشرين والثلاثين . أما الرجال فيتراوح أغلبهم بين الخامسة والعشرين والأربعين ، لأن الرجل بعد هذه السن يفكر عادة في الاستقرار . ولذلك يهدأ « بارومتر » الطلاق في الهدوء . ولكن الغريب أن درجة هدوئه ليست واحدة بالنسبة إلى الجنسين ؛ فهي عند الرجال أبطأ منها بكثير عند النساء . فبينما نجد عدد الرجال الذين أوقعوا الطلاق وهم بين سن الأربعين والخامسة والأربعين مثلاً ٦٠٥٧ نجد عدد طالبات الطلاق في هذه السن ٣٠٥٦ امرأة فقط !

وأعجب من ذلك أن يبلغ الفرق أقصاه بعد الستين فعدد المطلقين بين ٦٠ و ٧٠ كان ١٦١٦ رجلاً بينما كان عدد المطلقات ٣٩١ . أما من ٧٠ فأكثر فقد كان عدد الرجال والنساء على الترتيب : ٧٣٤ و ٨٦ .

ولعل هذا يفسر لنا بعض التفسير كثرة عدد الشيوخ المتصابين الذين أحرقوا ذكرى زوجيات طويلة تحت أقدام غرائز صغيرات السن ، طامحات الصبا !

خامساً — بحسب مدة الزوجية :

من بين ما سجلته الاحصاءات في هذا الصدد البيانات الآتية :

مدة الحياة الزوجية	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
أقل من شهر	٢١٦٩	١٩٣٣	٢٠٣٠
من سنة إلى سنتين	١٠٤٥٠	١٠٤٣٥	١٠٩٥٩
من ٥ — ١٠ سنوات	٧٨٩١	٧٦٤٩	٨٠٣٣
من ٢٠ سنة فأكثر	١٥٠٠	١٦٦٠	١٦٩١

من هذه البيانات الطريفة يمكننا أن نستنتج بسهولة الحقائق الاجتماعية الآتية :

(أولاً) إن أقل حوادث الطلاق تقع في الحياة الزوجية التي لم تعمر شهراً . ويمكن إرجاع ذلك إلى كثرة المتناقضات المزعجة التي تلابس نظام الزواج في مصر ؛ فمن الغش ، والخداع ، والشره ، وإكراه الآباء ، والجهل بشريك الحياة ، تتحدى سوق الطلاق ، وتمتلئ سجلات الطلاق الشرعية بانفصام هذه الزيجات الواهية القصيرة العمر !

(ثانياً) إن أكثر حوادث الطلاق واقعة في الحياة الزوجية التي مرت بسلام في العام الأول ، ولكنها انهارت في العام الثاني قبل اكتماله . وهي الفترة التي يكون فيها الزوجان على عتبة الأبوة ، فيسهل الفراق قبلها على حين يصعب أو تقسو نتائجه بعدها .

(ثالثاً) لوحظ كثرة حوادث الطلاق في الحياة الزوجية التي تتراوح مدتها بين خمس سنوات وعشر سنوات بنسبة عالية نسبياً . وهو الأمر الذي لا يستطاع رده إلا إلى عوامل الانحلال الخلقي ، والفقر الاجتماعية الخطيرة التي طرأت بعد الحرب الماضية .

* * *

هذه هي فصول صغيرة من التقويم الاجتماعي الخاص بالطلاق ، أوردناها في إيجاز ، حتى يتبين من خلالها كل مصلح اجتماعي ، وكل مشتغل بالمسائل الاجتماعية إلى أي مدى طويل مزعج سارت أقدام هذه المشكلة الاجتماعية التي تنفرد بها مصر ، والتي أخذت فيها صورة شوهاء قضت على جمال التشريع الاسلامي ومتانة أحكامه . فلعل أحد هؤلاء أو أولئك يهز الأريحية العمرانية والقومية إلى إنقاذ المجتمع المنكوب بهذه الويلات الصارخة . وفي مقال تال سنحاول أن نبين بعض ما يجب اتباعه في هذا الشأن .

محمد عبد الرحيم عنبر
بوزارة الشئون الاجتماعية

١ - هنرى برغسون يموت !

لموسى مبارك وتلخيص الزيات*

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولاً لا أبا لك يسأم

ذلكم بلا ريب هو الخاطر الوحيد الذي كان يطوف في رأس الشيخ هنرى برغسون كلما اختلف إلى داره القائمة بعض أصحابه وتلامذته : فقد بلغ الرجل الغاية من العمر ، والغاية من الألم ، والغاية من الوحدة ، ثم لقد بلغ الغاية من التأليف ، والغاية من الشهرة ، والغاية من قلوب الناس . فشبع من الدنيا وشبعت الدنيا منه ، وأخذ ينتظر يومه الأخير ، على أنه عاقبة المطاف ونهاية السير

— ١ —

كان من عادة الفيلسوف الأمريكي « وليم جيمس » أن يقول لأصدقائه كلما تحدثوا من حوله : « أتعرفون رجل هذا هو هنرى برغسون ؟ » إن عجبي ما ينقضي من نبوغ هذا اليوذي الموهوب . وما أدري لماذا يطلقون عليه لقب « الفيلسوف الفرنسي الكبير » فما سمعت هذا مرة إلا خطرت ببالي عبارة الذين كانوا يقولون في الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة : « لم تكن رومانية ولا جرمانية ولا مقدسة » . وما أرى برغسون رجلاً كبيراً ، فهذه قلته . . . وما أراه فيلسوفاً لأنه ترك الفلسفة للألمان يسلخونها من منسكها وثقافة ، ولأنه من أنبه تلاميذي وأحبهم إلى نفسي ! وما أراه كذلك فرنسياً ؛ وإن شئتم فقولوا إن اسمه الغريب خدعني عن حقيقة فرنسيته زمناً طويلاً ، حتى لقد حسبته دخيلاً على الجنسية الفرنسية في أهون تعبير » .

ويختم فيلسوف الذرائع[1] حديثه مع أصحابه بهذه العبارة القوية : « . . . ولكنكم تعلمون يا سادتي كما أعلم أنا ، أن هذا الرجل الصغير إنما هو فخر الانسانية وعنوان مجدها الخالد » .

وكتب جيمس مرة إلى أحد أصدقائه يصور له أثر « التطور المبدع l'évolution créatrice » في نفسه ، فيقول : « لقد رأيت في كل كتاب في نظرى هزيلاً من بعد قراءة هذا الكتاب الجديد أو الفجر الأعلى البتلق » .

قد يطير بعض الفلاسفة في حدود أنفسهم ، وتعرض ... على الزمان ، وتحصر قرائحهم المطلقة ... ، ثم لا يرى الذين يعاصرونهم من مظاهر هذا التطور والكمال والخصب شيئاً يلفت إليه عيونهم ويسترعي خواطرهم . حتى إذا سير الباحثون غور هؤلاء الفلاسفة المغمورين ، وجدوا أن واحداً منهم لا بد أن يكون مصدر تيار عميق الأثر في عصره وفي الأعصر التي تليه . ولكن شأن برغسون لم يكن في الفلسفة على هذا النحو فقط ، فشهرته الداوية لا تعرف جوها الاتفاقي البسيط الأول ، واسمه الطائر رن في آفاق الدنيا منذ عهد بعيد . ولقد كان صغير السن أملك المود يوم دخله « كوليج دى فرانس » لتدريس الفلسفة الحديثة فيها ، وبهذا الكرسي الشاغر الذي خلا بوفاة العالم الاجتماعي الكبير جبرائيل تارد Gabriel Tarde ، وهاهو يجهد

(*) نقلاً عن مجلة « الفيجارو » الفرنسية ، عدد مارس ١٩٣٩ صفحة ٢٦٠ - ٢٧٠ وعدد آب ١٩٣٤ صفحة ١٢٣ .

(1) الذرائع هنا تعريب Pragmatism ، والتسمية للأستاذ أحمد أمين .

الآن من خلال مؤلفاته وفي حياته[1] صيرورة آرائه الفلسفية في مسارب العقول ومناحي الأرض .

إن حياة برغسون هي حياة آرائه الفلسفية على الضبط ، فمن أحب أن يؤرخ هذه لابد أن يرجع إلى تاريخ تلك ، ويستمد منها الشعاع الكاشف النير . . .

— ٢ —

كان مجيء الطفل هنري برغسون إلى هذه الدنيا في الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٨٥٩ ، فدرج في مهاد الأبوة والأمومة ناعم البال مترف العيش ، ثم تلقف علومه الابتدائية والثانوية والعالية في كثير من اليسر والتوفيق والتوفيق في التحصيل ، حتى لقد تقدم إلى إحدى المسابقات العامة في الرياضيات عام ١٨٧٧ ففاز بجائزتها الأولى ، وهذه سابقة ذات مغزى بعيد في الدلالة على مواهبه الناجحة في سن مبكرة . . .

وكان برغسون يجيد فهم العلوم لا يجيد ... فأصابته من جراء هذه الأحادة ... الاختصاص ، ولكنه دخل دار المعلمين عام ١٨٧٨ ، فقبل فيها كتبع أجنبي ، ثم رأى أن ينسلخ من أرومته اليهودية ، فاعتنق الجنسية الفرنسية عام ١٨٨٠ ، وأصبح طالباً مواطناً . وتنقل بعد ذلك بين شتى الجامعات الفرنسية ، ثم استقر في باريز يدرس في جامعة رولان Rollin ويهيء أطروحة الدكتوراه في الآداب ، ولكنه ما لبث أن انتقل إلى جامعة هنري الرابع ، ومنها إلى دار المعلمين العليا ، فبقي أستاذاً للفلسفة فيها إلى مستهل عام ١٩٠٠ ، إذ عينته كوليج دي فرانس مدرساً للفلسفة اليونانية واللاتينية . وفي هذه الجامعة تجلت مواهب برغسون في تدريس أعقد نظريات الفلسفة بلغة واضحة مبينة ، حببتها إلى قلوب الشباب ، حتى اجتذبهم إلى متابعة دروسه ، وحتى جمع كثيراً من طلبة الآداب إلى دراسة الفلسفة . . . !

وكذلك وفق « الأستاذ » هنري برغسون في حياته التدريسية في كوليج دي فرانس إلى ما لم يتوفق إليه المشاهير من رجال الجامعات وأساتذة المعاهد . فما كانت دروس المسيو ليروا بوليو Leroy Beaulieu أستاذ الاقتصاد السياسي لتحظى بنشر معشار ما كانت تحظى به دروس برغسون من التلامذة والمستمعين . وكذلك كان شأن المسيو Chuquet أستاذ التاريخ في كوليج دي فرانس ، فقد وقت محاضراته ليسبق وقت محاضرات برغسون ، ومع هذا فإن الذين كانوا يجيئون إلى الجامعة لم يستمعوا إليه ، حتى لقد صاح المسيو شوكه يوماً عن ... : « سيداتي سادتي : إنكم لمدعوون إلى الاستماع ... برغسون قبل أن تستمعوا إلى المسيو برغسون ... »

... ما كانت دروس برغسون لتستهوي جمهور الطلاب وأصحاب الثقافة ! إن أعظم المدرسين في جامعات فرنسا كرينان Renan وميشيله Michelet ورومان رولان Romain Rolland لم يشهدوا التوفيق الذي شهده الأستاذ برغسون على صغر سنه . وهل في باريس كلها إنسان مثقف لم ينطبع في ذهنه خيال برغسون الجليل ؟ معطف أسود شديد السواد ، ينتهي في طرفيه بأكمام عريضة شديدة العرض ، ويدين صغيرتين كأنهما بعض أيدي البط ، ويحمل بين كتفيه رأساً وردي اللون ضامراً أصلع من أعلاه وأحمر في وجنتيه ، يتحرك حركة مستديرة ذات اليمين وذات الشمال ، وتتقدمه عينان فارزتان دقيقتان ، كأنما رُكبتا من النضار الأبيض ثم وُضعتا في مكانهما هنا لتكشفا عما وراءهما من عوالم الأحلام والشعور

(١) لا يغرب عن بال القارئ أن هذا المقال وما يليه من المقالات إنما كتب منذ بضع سنوات .

والمجهول . ويخفت صوت نأم خافت الجرس يرن رنين الفضة ليقول أشياء وأشياء وأشياء في مثل صمت الكنيسة :

« إن الأمة التي لا يحركها الشعور الموحَّد ، ولا ينظمها الرأي المشترك ، لا تمشي نحو الهدف والمثل الأعلى ، كالرجل الفوضوي إذا لم يجمع خواطره كلها حول نقطة ثابتة فإنه لا بد فاقد أتباعه وغايته » .

ويهدئ الصوت ويدق ويرق حتى لتحسبه قد استحال إلى نغم حلو من أنغام الموسيقى ، تصحبه حركة اليد وإشارة بالعين ووضع جبيني تكشف كلها مجتمعة عما يريد رغسون أن يذيع في الناس من رأي قائم على شعور أو شعور يرجع إلى حدس أو حدس يقوّم حقيقة أو حقيقة تستند إلى تجربة . وتتسلسل خواطره بعد ذلك تسلسلاً عجيباً يأخذ بلب الحاضرين على اختلاف [illegible] وثقافاتهم ثم ينقطع كلامه ويهمّ [illegible] التي تنبه وتشوقه .

على أن التوفيق الرائع الذي حالف حياة رغسون الحاضر ، لم يكن ليصدف الفيلسوف عما هو بسبيله من سرعة الخاطر وعمق البحث . ألم يقل هو في بعض محاضراته : إن من واجب الفيلسوف أن يشك بكل شيء ، وأن ينظر إلى الجماهير نظرة خاصة فيها التقدير وفيها الاحتقار ؟ إذاً ما باله يخشى الذين يستمعون إليه عن قرب ، فلا يتحدث إليهم إلا كما يتحدث إلى نفسه من كثرة الحرص وإيجاز الكلام ؟ إن هنري رغسون هو المفكر الذي ترد حياته وهدأت أعصابه ، فما يتحمس في نفسه إلا ليشك الحرارة في غيره ، ويخلع القوة على من حوله . حياة مليئة بالنشاط النفسي والعمل الدائب ، وإخلاص شديد للفكر الحر لم يفارقه من لدن أول مؤلفاته « رسالة في الحقائق المباشرة للشعور Essai sur les données immédiates de la Conscience » حتى « منبعي الأخلاق والدين Les deux sources de la morale et de la religion »

وتكللت هامة رغسون على الزمان بأكاليل زاهية من المجد ، وكلها جاءته طائعة من غير أن يسعى إليها في طلبها أو يتهالك عليها تهالك الشباب على زجاج المصباح ؛ جاءه المجد طائعاً ، لأنه الرجل الفيلسوف المتواضع الذي يغلو في حب الحقيقة والعقل غلاءً لم يُبق على شيء آخر من نفسه ولا من شخصه . فها هو يدخل المجمع العلمي للأبحاث الأخلاقية والسياسية عام ١٩٠١ ، والأكاديمية الفرنسية عام ١٩١٤ ، وها هو ينال الوسام الأكبر لفرقة الشرف عام ١٩٢٣ ، وجائزة نوبل في الآداب عام ١٩٢٨ .

إن هنري رغسون الذي أضناه وأجهد الفكر يشعر [illegible] شديدة ، ليسكن الآن غرفة هادئة منعزلة في ضوضاء [illegible] ، يجتر فيها آراءه التي سلفت ، وفلسفته التي دعت في الناس شعاعاً ، ثم يعاني في جسمه ألماً شديداً من جراء الروماتيزم والتحفظ الزوقي ، ترعاه زوجته البارة وابنته الكبيرة تجانبهما القوى الزاخر ، ليخلقا له الجو الرطيب الذي يستطيع معه أن يفكر ويكتب . وقد احترمت الطبيعة ملكات رغسون العقلية ، فلم تمسها بضعف ولا بزوال ولا بشيخوخة . وهم الذين يتصلون به في هذه الأيام يشهدون جيداً بأن قواه ، ويقولون : إن رغسون ما زال يحتفظ بالنكتة التي تضحك ، والفكرة التي تدهش ، والروحانية السامية التي تدل على « فلسفته » ....

تعالوا أيها القراء ، تعالوا بكل بساطة نشاهد في شخص رغسون شخص الحكيم ....

(حمص) محمد روحي فيصل

١ – قصة التطور

للدكتور عبد الحليم منتصر

لا تزال دراسة التطور ، تحتل مكاناً رفيعاً ممتازاً ، لدى الذين يدرسون الأحياء ، وما يتصل بها من علوم كثيرة متنوعة ، فهم يفرضون وجود سلسلة متصلة الحلقات ، تربط الكائنات الحيوانية ، تطورت مجموعة بعد أخرى ، وكذلك الكائنات النباتية يربطونها في سلسلة متصلة من المجاميع ، درجت كل واحدة بعد الأخرى ، خلال الأحقاب الطويلة ، التي تتابعت على الأرض منذ كانت الأرض ؛ ففي كل حقب من الأحقاب الجيولوجية ازدهرت مجاميع من الكائنات الحية ، نباتية وحيوانية ، كانت تميز الحقب ، وما زالت تعرف به ويعرف بها . وقد تنقرض هذه ، بتأثير كثير من العوامل البيئية التي تكتنفها ، لتظهر مجاميع أخرى ، تقوى على مغالبة الظروف ، ومنابذة الحر والاستمرار والتكاثر فيها ، ومنها ما يتميز بمرونة ظاهرة قوية ، فيوائم بين ظروفه الجديدة وبين أسباب عيشه وحاجات نموه ؛ فتتابع العصور والأحقاب ، وأسباب حياته متصلة مطردة . فمن الكائنات ما انقرض انقراضاً تاماً منذ أحقاب سحيقة ، وإنما عرفناه ودرسناه من آثاره التي بقيت مطمورة في باطن الأرض ، على صورة حفريات نباتية أو حيوانية . استطاع العلماء أن يدرسوا هذه الحفريات المختلفة ، وأن ينسبوها إلى مجاميع بذاتها ، ازدهرت خلال حقب من الأحقاب ، وقد يبقى جنس أو أكثر من أي من هذه المجاميع ، يمكن نسبته إليها لوجود كثير من أوجه الشبه التشريحية بينها ، يبقى ممثلاً لهذه المجموعة ، شاهداً على وجودها ، ودالاً على ازدهار دولتها يوماً ما .

على أن فكرة التطور ليست حديثة العهد ، كما يظن كثير من الناس ، ولم يبتدعها « دارون » ابتداعاً ... ولكنها درجت مع الإنسان منذ أكثر من ألفي سنة ؛ وما زالت تنتقل من جيل إلى جيل ، ومن فئة إلى فئة ، تخبو حيناً لتظهر حيناً آخر ، إلى أن ألقتها يد الزمن إلى رجالات القرن التاسع عشر ... وكان « دارون » أحد الأعلام الذين جاهروا بها وحملوا لواءها ، ولعله كان من أبرزهم شأناً وأشدهم إيماناً ، منذ ظهر كتابه أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ ، فأصبحت تنسب إليه ، وأصبح هو علماً عليها ، فيقال المذهب الدارويني ، أو التطوري .

ثم إن مشاهدات « دارون » وملاحظاته واستنتاجاته الدقيقة التي ضمنها كتبه ورسائله ، هي التي خلعت على النظرية [illegible] من البهجة والبهاء ، وبهر به كثير من المعاصرين ، فآمنوا به ، وانضموا تحت لوائه ، ورضوا بالانتساب إليه ؛ بل إن فيهم من بز « دارون » نفسه في قوة الإيمان بهذه الدعوة ، والمبالغة في الحماسة لها ، والاستزادة من أنصارها والداعين لها ، وقد أصبح كثير من هؤلاء ، وأولئك « داروينياً » أكثر من « دارون » نفسه ، فأضافوا إليها ما ليس منها ، وألبسوها من الأثواب ما لم يفكر « دارون » في إلباسها إياها ...

ويمكن دراسة هذه الفكرة منذ عهد حكماء الإغريق الأقدمين (سنة ٥٤٥ ق . م) ، أمثال أناكسيماندر وإمبيدوكليس . وقد كان « زينوفينيس » أول من لاحظ وجود حفريات حيوانية ؛ واعتقد أن هذه البقايا والآثار هي لحيوانات عاشت على الأرض في عصر من العصور ، ثم تحجرت على هذه الصورة التي وجدها عليها . وكانت هذه خطوة بارعة جريئة في هذا السبيل ، واعتبرت دراسة

هذه الحشرات من الأدلة القوية التي تؤيد الفكرة وتثبتها، بدلا من النظريات والآراء الكلامية.

ومن الحق أن نقول إن «أرسطو» هو الذي خلق الداروينية قبل أن يوجد «دارون» بنيف وعشرين قرناً. ولذا كان يعتقد بحق أنه مجدد مبتدع، وأنه ليس مقلداً ولا تابعاً لغيره، وإنما كان يضع خططاً جديدة، ويبني على أساس مكين. فقد استنتج من دراساته المستفيضة، ومقارناته الدقيقة، وملاحظاته المتعددة على كثير من الحيوانات، استنتج أن هناك سلسلة وراثية متصلة تصل بين «البوليب» البحري العشبي الرقيق، وبين «الإنسان». فلا جرم أن سمي «أرسطو» التطوري الأول.

وقد كان «لوكريتس» شاعراً، ولكنه مع ذلك صاحب فكرة، يمكن أن تضم إلى هذه الآراء عن الكائنات الحية، فقد قال إن الحيوانات المفترسة قد مهد لها افتراسها أسباب البقاء، فعاشت في مختلف الأجواء والبيئات؛ أما الحيوانات الأليفة، فقد عرف نفعها الإنسان، فحاول هذا جهده أن يكثرها وأن يستخدمها لنفعه أيما استغلال؛ فعاشت هي الأخرى رغم خلوها من القوة والسرعة والمكر، وما إليها من صفات الحيوانات المتوحشة عموماً. وكان يعتقد مبدأ تنافي وتسلسل الأجناس وبقاء الأقوى؛ بمعنى تتابع واحداً بعد الآخر، فإذا مات جنس نشأ آخر يكون أقوى على الاحتمال والصراع.

وقد لبثت مثل تلك الآراء والأفكار تسيطر قروناً عدة على الباحثين والمفكرين، حتى تسلموهم يؤمنون بها ويتداولونها جيلا عن جيل، ومدرسة بعد مدرسة، وكانت خلاصة هذه الآراء ونزعتها إنما هي «التطور».

كذلك نشأت نظرية التطور أو التسلسل منذ فجر التاريخ، وكانت أساس آراء «دارون» وملاحظاته التي لخصها في رسالته مع زميله «ولاس» إلى جمعية «لينيس» عن «منشأ السلالات من الأنواع» وعن «أثر الانتخاب الطبيعي في تكوين السلالات». وذلك في سنة ١٨٥٨.

وخلاصة هذه النظرية كما سجلها «دارون» أن تنازع البقاء، والانتخاب الطبيعي وبقاء الأصلح، كل هذه تعمل عملها في تكوين الأنواع والسلالات. وأن السلالات الصالحة القوية هي التي تستطيع أن تلائم بين ظروف بيئتها وأسباب حياتها ونموها.

وقد بين الأستاذ «باطسن» (Bateson) أن المشكلة لم تحل بهذه النظرية أو تلك؛ وأنه مع عدم معارضته لمسألة أصل الأنواع والانتخاب الطبيعي، فإنه يرى أن كثيراً من الآراء والفروض التي بنيت عليها النظرية واهي الأساس متداعي القواعد. وقد لبثت هذه النظرية مدى حين مثار النقاش المؤيدين والمعارضين؛ ومع ما كان يلقيه المعارضون في طريقها من أشواك النقد والتجريح اللاذع، فقد ثبتت دعائمها في كثير من البلاد، ولا سيما في انجلترا وألمانيا، وسيطرت فكرة التطور على دراسات علوم الحياة جميعاً في هذه الأقطار، وظلت تتمتع بهذا المركز الممتاز حتى عام ١٩٠٠ الذي يعتبر عاماً خطيراً بالنسبة لتاريخ النظرية التطورية.

وعلى أي حال فقد كان نجاح «دارون» الفذ إنما هو في بعث نظرية التطور من جديد، وإثارة اهتمام العلماء والبحاث بها من جديد، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير، وذلك بتأييدها بملاحظاته عن أصل الأنواع والانتخاب الطبيعي؛ وكان النصر العظيم الذي فازت به هذه النظرية على يد «دارون» هو نقلها من ميادين الفلسفة والكلام والمنطق إلى ميدان العلم العملي والتجارب والبراهين المنتزعة من حقول التجارب على الحيوانات والنباتات، فاهتم بها علماء الأحياء، وانكبوا على استنباط البراهين التشريحية والوصفية من دراساتهم الثابتة على الكائنات جليلها ودقيقها.

وفي سنة ١٩٠٠ هبت على نظرية التطور ثورة عنيفة كادت تودى بها، وتقتلعها من جذورها. فمن أين جاءت هذه العاصفة؟! لقد أثار هذه العاصفة القس النمسوى « مندل » ببحوثه على الوراثة والتهجين [1] في النباتات، وقد كان مندل معاصراً لدارون تقريباً، فقد أجرى تجاربه في سنة ١٨٦٥، في حين ظهر أصل الأنواع لدارون في سنة ١٨٥٩. ولكن نتائج « مندل » لم تثر في حينها اهتمام العلماء والباحثين، وإن كانت تجاربه التي أجراها بين عام ١٨٥٦ — ١٨٧٣، مما جعل شهرته تذيع في الأوساط العلمية. ولكنها لم تنشر على الملأ إلا في سنة ١٩٠٠، أي بعد وفاته بنحو ست عشرة سنة، فقد مات مندل سنة ١٨٨٤ قبل أن يرى آثار تجاربه ونتائجه.

* * *

أجرى « مندل » تجاربه على نبات البسلة المعروف [illegible] وكان ينمو في حديقة الدير الذي يعمل به. وكانت فكرته المزاوجة بين سلالات مختلفة من نوع [illegible] sativum) فكان منها الطويل الذي [illegible] ست أقدام، ومنها القصير الذي لا يكاد يجاوز القدم طولاً. فكان يزاوج بين السلالتين، وذلك بأن ينزع من النباتات الطويلة مثلاً أعضاء التذكير من زهورها، ويلقح أعضاء التأنيث فيها بحبوب اللقاح ينتزعها من الأعضاء المذكرة في البسلة القصيرة. كما يجرى عكس ذلك، بأن يلقح أعضاء التأنيث في البسلة القصيرة بحبوب اللقاح من الأعضاء المذكرة في البسلة الطويلة. وهو يأخذ لإتمام ذلك على الوجه الأكمل كل أسباب الاحتياط، حتى لا يختلط عليه الأمر، كما أنه يكرر تجاربه بضع مرات، حتى يتحقق من توافق النتائج، فيطمئن إليها. وكان ينتظر في كل مرة حتى يحصل على البذور، ثم يعيد زراعتها ثانية ويلاحظ نتائجه. ولقد كان يتوقع عندما زاوج بين البسلة القصيرة والطويلة أنه سيحصل على بسلة متوسطة الارتفاع، ولكن كم كانت دهشته عظيمة عندما وجد بسلة الجيل الأول كلها طويلة تكاد تساوى البسلة الطويلة الأصلية التي زاوج بينها وبين القصيرة. وعندما زرع بذور هذا الجيل الأول الذي حصل عليه، وزاوج بين نباتاته ثانية كانت نباتات الجيل الثاني فيها الطويل والقصير، ولكن بنسبة ثلاثة من البسلة الطويلة إلى واحد من القصيرة.

اعتبر « مندل » الطول الصفة السائدة أو الغالبة، أما القصر فقد أسماه الصفة المتنحية. وعندما زاوج بين نباتات الجيل الثاني ظهر أن واحداً فقط (الثلث) من الثلاث الطويلة هو الذي حافظ على هذه الصفة في كل إنتاجه، أي أنه حافظ على صفة الطول، فكان ينتج الأصيل، أي أن إنتاجه « صريح ». أما الثلثان الباقيان فإن نتيجة المزاوجة بين نباتاتها كانت إعطاء النسبة السابقة [illegible]. أما النباتات القصيرة في الجيل الثاني، [illegible] صفة القصر في كل إنتاجها، أي أن إنتاجها « صريح » أيضاً.

استنتج « مندل » أنه إذا وجدت الصفتان المختلفتان في النباتين المتزاوجين، فإن الصفة السائدة هي التي تسود نباتات الجيل الأول، ولا يمكن التفريق بين الأفراد التي سيكون إنتاجها صريحاً من تلك التي ستعاود إظهار الصفتين في نتاجها. ولكن عند المزاوجة بين أفراد هذا الجيل الأول نحصل على النسبة ٣ : ١؛ فربع الأفراد يحمل الصفة المتنحية وإنتاجها صريح دائماً، وثلاثة أرباع الأفراد تحمل الصفة السائدة، وبالمزاوجة بينها نحصل على نفس النسبة مرة أخرى ... وهكذا. فالصفة المتنحية تظهر ويكون إنتاجها صريحاً إذا اختفت الصفة السائدة. كما أن ثلث الباقي من نباتات الجيل الأول فقط هي التي يكون إنتاجها صريحاً بالنسبة للصفة السائدة وهي الطول. وعلى ذلك يمكن تحليل النسبة ٣ : ١ إلى ١ : ٢ : ١:

(١) الهجين: أبوه عربى وأمه ليست عربية. والمقرف: أبوه غير عربى والأم عربية. والصريح: عربى الأبوين (من الأمالى لأبى على القالى)

يعني أن واحداً سيكون إنتاجه صريحاً بالنسبة للقصر ، وآخر سيكون إنتاجه صريحاً بالنسبة للطول . واثنين يحملان صفة الطول إلا أنها ليست نقية ، ولكنها تخفي تحتها الصفة المتنحية وهي القصر ؛ ولذلك فإنه بزاوجة أفرادها ثانية تتكرر النسبة ٣ : ١ . . . وهكذا .

لقد زاوج « مندل » بين سلالات مختلفة من البسلة ، ولاحظ صفات أخرى غير الطول والقصر ، كشكل البذرة ، ولون القصرة (غطاء البذرة) ، ولون الفلقات بداخل البذرة . . . وفي جميع هذه الحالات حصل « مندل » على نفس النتائج والنسب بين كل زوج من الصفات . فإن إحداها تكون هي السائدة ، على حين تكون الأخرى متنحية . وطبيعي أنه عند ما تتعدد الصفات المتباينة بين النباتين المتزاوجين فإن النتائج تكون أكثر تعقيداً ، وإن أمكن تحليلها وإرجاعها إلى القانون الأساسي الذي ذكرناه فيما تقدم .

ولقد علل « باتيت » نتائج « مندل » بأن [illegible] الخلايا التناسلية أو الأمشاج ذات قدرة على نقل الصفات من جيل لآخر ، ولكنه ظن أن المشيج يستطيع حمل صفة واحدة من الصفتين المتقابلتين أي أن المشيج ، إما أن يحمل صفة الطول أو القصر ، ولكنه لا يحملهما معاً . كما يفترض أن المشيج نقي من أب نقي أي يكون ذا إنتاج صريح لو تزاوج مع أفراد نوعه فحسب ، وفرض هذا النقاء أساسي جداً في نظرية « مندل » . وعلى هذا النهج السليم الذي وضعه « مندل » وضعت أسس علم الوراثة .

ولقد قيل عن نظرية مندل أو « المندلية » إنها خاصة بالوراثة ، وأن ليس ثمة علاقة بينها وبين التطور أو « الدارونية » . ولكن الذي لا مراء فيه أن المندلية أبلغ الأثر على الدارونية ، بل إنها قد غيرت نظرة الناس إليها ، إن لم تكن قد أكسبت صوتها عاصفة شديدة زعزعت من أركانها ، وجعلت الناس يرتابون فيها أبلغ الريب ، بعد أن كان إيمانهم بها قوياً . وكان الدور الأول الذي لعبته المندلية على النظرية التطورية هو جعل التجربة أساس البراهين ، بدلاً من مجرد الجدل المنطقي والاستقراء المبني على الملاحظات السطحية ، كالبستانيين والزراع ومربي الحيوانات الأليفة وتجارها ، وما قام به هؤلاء ، وأولئك عند استنبات أصناف أو سلالات جديدة من زهور الحدائق ، أو تكثير ما يظهر من سلالات جديدة لحيوانات أليفة ، تلك الملاحظات التي اعتمد عليها دارون وكانت عمدته في تدعيم النظرية التطورية ، مع أنها لم تكن نتائج تجارب أجريت على أسس علمية يمكن الاطمئنان إليها . وما كان ليزيد في قيمتها العلمية ما ألبسها المنطق ، وبراعة الاستقراء من ثوب جميل خلاب .

أما مندل فقد رسم الطريقة العلمية التي ينبغي اتباعها ووصل إلى نتائج لم تكن في صالح الدارونية أول الأمر . بعد أن [illegible] أن هناك من الصفات ما ينتقل من [illegible] دون أن يعتوره تغيير أو تبديل — وهي النتيجة تعارض الدارونية التي تقول بتجمع الاختلافات اليسيرة بعضها إلى بعض ، بعامل الانتخاب الطبيعي ، إلى أن تتكون السلالات أو الأنواع الجديدة .

وقد ثبت أن هذه الاختلافات ليست كافية بالمرة لتكون أصلاً لنوع جديد . وإنما تنتج أغلب الأمر من تأثير البيئة على الفرد ، وهي لم تصل بعد إلى الخلايا التناسلية التي تنقل الصفات الثابتة التي تميز الأنواع بعضها عن بعض . إذ الواقع أن هناك كثيراً من الأنواع (في النبات والحيوان) تشمل سلالات عديدة تختلف فيما بينها اختلافات بسيطة ، إلا أنها كثيرة ، تحمل على الظن بأنها أنواع ، وما هي كذلك . وقد أسماها « جوردان » (الأنواع الأولية) ليميزها عن الأصناف والسلالات من ناحية ، وعن الأنواع الأصلية من الناحية الأخرى .

(يتبع) عبد الحليم منتصر

المارد الأناني

قصة — للكاتب الإنجليزي أوسكار وايلد

اعتاد الأطفال الصغار أن يمروا أصيل كل يوم بعد خروجهم من المدرسة بروضة الرجل المارد ، حيث يمرحون ويلعبون بين الزهور والأغصان .

وروضة المارد روضة عظيمة جميلة متسعة الأرجاء .. يغطي أرضها الزرع الأخضر السندسي ، وقد انتثرت خلاله الزهور الناضرة ، تبدو جميلة بيضاء كالنجوم اللامعة . . . وتسمو في أنحائها المختلفة اثنتا عشرة شجرة من أشجار الخوخ التي تزهر في الربيع ، فتبدو أزهارها جميلة تجمع إلى احمرار الورد بياض اللؤلؤ . . حتى إذا حل الخريف حملت تلك الشجرات بالثمار اليانعة .

واعتاد الأطفال كذلك أن يرهفوا السمع ليطربوا بأصوات الطيور تشدو فوق الغصون ... حتى إذا تملكتهم نشوة الطرب صاحوا جميعاً : « كم نحن سعداء في هذا المكان ! » .

أما المارد فكان في زيارة لأحد أصدقائه منذ سبع سنوات . . . ثم عاد ذات يوم إلى قصره الشامخ ، فوجد الأطفال يلعبون ويمرحون في حديقته ، فصاح بهم صيحة منكرة : « ماذا تفعلون هنا . . . ؟ ! » .

أزعجت الصيحة الأطفال ، فلاذوا بالفرار ... واستمر المارد في صياحه : « حديقتي لي وحدي ، وكل امرئ يستطيع فهم هذا ... وسوف لا أصرح لأي من الناس باللعب فيها . . . » . وبعد أيام بنى حول الحديقة حائطاً مرتفعاً وعلق عليه لوحة كتب فيها :

« من يخطو هنا يحاكم »

فلقد كان المارد أنانياً . . . . . .

والآن ، لم يعد للأطفال مكان يلعبون فيه سوى الطريق العامة — وهي كثيرة الغبار — كثيرة الحجارة والصخور . . فسئموها — ولكنهم كانوا يطوفون حول الحائط المرتفع بعد انتهاء دروسهم ، فيستعيدون ذكريات لهوهم داخل الحديقة . . ويصيحون صيحتهم القديمة : « كم كنا سعداء في تلك الحديقة . . ! ! »

أتى الربيع فنبتت الزهور في كل حديقة وشدت الطيور فوق كل غصن . . إلا روضة المارد الأناني ، فلقد بقيت وكأنها ما زالت في فصل الشتاء ، فطيورها لم تعن بالغناء إذ الحديقة خلو من الأطفال . . وكذلك أبت الأشجار أن تزهر ، وحاولت زهرة مرة أن تطل من بين الأعشاب ولكنها رأت الإعلان المعلق فحزنت لغيبة الأطفال ... كي ترقد في أمن وسلام . . .

وهكذا بقيت الروضة مغطاة بالجليد والصقيع اللذين صاحا في فرح وسرور : « لقد نسي الربيع هذه الروضة فلنتخذها إذاً مقراً لنا طول العام . . » — ولهذا بدا الحشيش الأخضر الجميل ، وقد غلاه الصقيع الأبيض ، كما بدا الشجر وكأنه مرسوم من الفضة المطروقة ، وحلا للجليد مع الصقيع الإقامة فدعوا ريح الشمال لتشاركهما في تلك الروضة . . وسرعان ما لبت الريح الدعوة . . وحلا لها الجو ، فظلت تزأر طول اليوم في جميع أنحاء الحديقة . . حتى كسرت مدخنة القلعة . وأحبت الريح بعد ذلك أن تدعو البَرَد فدعته . . واعتاد البَرَد أن ينهمر في كرة ثلاث مرات أو أربعاً في اليوم فوق سقف القلعة حتى حطم السقف أخيراً .

وفي يوم جلس المارد الأناني في نافذة قصره ينظر إلى حديقته البيضاء الباردة يحدث نفسه : « أنا لا أستطيع

أن أصمم لم تأخر الربيع هكذا ؟ .. وإني لآمل أن يتغير الجو قريباً ... »

ولكن الربيع لم يأت — ولم يأت الصيف .. وكذلك شاء الخريف أن يطيل كل حديقة ثمارها الذهبية ولكنه بخل بواحدة على روضة الأناني المارد .

وبقيت الروضة لا تعرف إلا فصل الشتاء ، وما سمعت غير زئير الريح الشمالية .. وما شهدت غير ضربات البَرَد المتساقط الوئيدة — كما أن الأشجار ما عادت تذكر غير رقص الجليد والصقيع على أغصانها وأوراقها ...

وفي فجر يوم جميل .. سمع الأناني المارد وهو مضطجع في فراشه نغمات موسيقية محبوبة فطرب لها أيما طرب .. حتى لقد حسبها موسيقى الملك وقد مرت بقصره ! وفي الحق ما كانت هذه النغمات إلا صوت عصفور صغير يطل من النافذة ، فأحس — وقد مضت عليه مدة طويلة لم يسمع فيها طيراً يشدو في روضته — أن صوت ذلك العصفور أعذب نغمات موسيقية في العالم كله .

وفي لحظة دخل العصفور [illegible] الريح الشمالية زئير كالرعد ، وشم المارد رائحة الزهور العطرة تأتيه خلال النافذة المفتوحة ... فقفز من فراشه وهو يصيح : « يقيناً لقد حل الربيع أخيراً » . ثم نظر من النافذة ، ترى ماذا رأى ؟! لقد رأى منظراً جميلاً .. لقد ثقب الأطفال ثقباً في الحائط ، ودخلوا إلى الروضة واعتلوا غصون الأشجار — وفوق كل شجرة كان يرى المارد طفلاً صغيراً ، وفرحت الأشجار لرجوع الأطفال إليها فغطت أنفسها بالأزهار والرياحين ، وأخذت تمايل بأوراقها كي تحمي رؤوس الصغار ، وهمت الطيور في الجو تطير وتشدو في فرح وسرور ، وظهرت الأزهار تطل من بين الحشيش الأخضر ضاحكة باسمة .

وبدت الروضة في منظر بديع ، إلا ركناً بعيداً من أركانها — لم يبرحه الشتاء بعد .. ووقف فيه طفل صغير جداً لم يتمكن من الوصول إلى أغصان الشجرة — فأخذ يطوف حولها وهو يصيح ويبكي ، ولكن الشجرة المسكينة كانت ولا تزال مغطاة بالجليد والصقيع ، والريح تهب فوقها وتعصف بها ، وأخيراً انحنت الشجرة بكل ما فيها من قوة وقالت : « تسلقني أيها الصغير .. تسلقني » ولكن الطفل لم يستطع لصغره .

أسف المارد على ما كان منه وأخذ يخاطب نفسه .. « كم كنت أنانياً ..!! الآن عرفت لم أبى الربيع أن يزورني ... سوف أحمل ذلك الطفل المسكين لأضعه فوق قمة الشجرة ... وسوف أهدم ذلك الحائط .. وستكون روضتي ملعباً للأطفال ... إلى الأبد إلى الأبد .. » وفي بطء وهوادة قصد المارد الحديقة وفتح [illegible] الأناني في لحظة ! ولكن الأطفال فروا [illegible] ولا [illegible] الفرار .. وعاد الشتاء للحديقة [illegible] أن الطفل الصغير لم يهرب لأن عينيه كانتا [illegible] المارد عند مجيئه ..

[illegible] نحو الطفل فحمله ووضعه على قمة الشجرة .. وفي الحال بدت الشجرة في حلة جميلة من الزهور اليانعة .. وأتت الطيور فطلبها تغني . وعانق الطفل ذلك المارد وقبله .

ولما رأى الأطفال أن الأناني لم يعد جباراً كما كان .. كروا راجعين .. ورجع الربيع برجوعهم فصاح المارد : « أيها الأطفال هذه حديقتكم منذ الآن ... » وأخذ فأساً يهدم بها الحائط .. وما إن عاد الناس من أعمالهم ظهراً حتى رأوا المارد يمرح ويلعب مع الأطفال الصغار في الروضة النضرة ..!!

لعب الأطفال كما شاءوا طول يومهم حتى إذا حل المساء جاءوا جميعاً ليحيوا المارد تحية المساء .. فسألهم : « أين زميلكم الصغير ..؟! ذلك الذي حملته إلى قمة الشجرة .. » فلقد أحب المارد ذلك الطفل حباً جماً لأنه

أتى إليه وقبله . . فقال الأطفال : « نحن لا نعرفه . . لقد ذهب ولم نره . . » .

— . . « يجب أن تخبروه بالإتيان وليأت هنا في الغد . . »

ولكن الأطفال قالوا إنهم لا يعرفون أين يقيم ، ولم يسبق لهم أن عرفوه من قبل ؛ فحزن المارد لذلك حزناً كثيراً .

ودأب الأطفال أصيل كل يوم (بعد تركهم المدرسة) أن يذهبوا إلى الحديقة حيث يمرحون ويلعبون مع المارد . . . إلا أن الطفل الصغير المحبوب لم يعد ثانية . وكان الجبار رحيماً بالأطفال جميعاً . . . .

ولكنه كثيراً ما افتقد الطفل الصغير ، وكثيراً ما كان يتحدث عنه إلى إخوانه قائلاً : « كم أتمنى أن أراه . . ! »

مرت السنون وتتابعت الأعوام ، وأصبح المارد هرماً خائر القوى . وما عاد يستطيع اللعب [illegible] يتنحى جانباً من الحديقة ويجلس [illegible] يراقب الأطفال ويراقب روضته وهو فرح [illegible] البين . وكثيراً ما قال في نفسه : « عندي أزهار جميلة ولكني أرى الأطفال أكثر جمالاً من الزهور . . »

وبينما هو يطل من إحدى النوافذ صبيحة يوم من أيام الشتاء إذا به يطيل النظر إلى الحديقة ، ويطيله في شغف . لقد رأى منظراً يدعو إلى العجب والدهشة — رأى في أبعد ركن من أركان الحديقة شجرة مظللة بالزهور البيضاء الناصعة وأغصانها صفراء لمع كاللعب الرصاص ، وثمارها بيضاء كالفضة تطل من بين تلك الأغصان ، وتحت تلك الشجرة وقف الطفل الصغير المحبوب .

جرى المارد مسرعاً نحو الحديقة يتمشى مملوءاً بالبهجة والسرور ، واقترب من الطفل قليلاً قليلاً ، حتى إذا حاذاه صاح غاضباً : « من ذا الذي اجترأ على أن يجرحك . . ؟ » — إذ كانت آثار وخزات الشوك على كفي الطفل وقدميه — وصاح ثانية : « أيها الصغير — من ذا الذي اجترأ على أن يجرحك ؟ خبرني أقتله بسيفي » فأجاب الطفل في هدوء : « هذه ليست إلا جراح الحب . . . » فتملكت المارد روعة ورهبة وانحنى أمام الطفل قائلاً : « من أنت . . ؟ » فابتسم الطفل وقال : « لقد أذنت لي أن ألعب قليلاً في روضتك . . وستصحبني اليوم إلى روضتي . إلى روضة الفردوس . . »

وعندما أتى الأطفال أصيل ذلك اليوم وجدوا المارد تحت تلك الشجرة جثة هامدة مغطاة كلها بالأزهار البيضاء الجميلة . . . . . !

ترجمها : جمال الدين الشيال

أنه في يوم الأحد ٦ إبريل سنة ١٩٤١ من الساعة ٨ الإفرنكي سيباع بناحية فارسكور ومديرية [illegible] جملة الأشياء الموضحة بمحضر الحجز [illegible] بفارسكور تنفيذاً للحكم الصادر [illegible] فارسكور الجزئية في القضية المدنية رقم ٣٦٠ سنة ١٩٤١ [illegible] في صالح نيابة الحكومة والمصاريف [illegible] والنشر بخلاف ما يستجد فطلب الشيخ [illegible] الأملاك بفارسكور

[illegible] المحضر

صاحب المجلة

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول

محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر		
	٣٠	في مصر والسودان
	٢٥	للطلبة ومعلمي الإلزامي
	٤٠	في الممالك المنتظمة في اتحاد البريد
	٥٠	في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العدد ١ صاغ

جولة فى المعرض السابع للتصوير الشمسى

أقامت جمعية محبى الفنون الجميلة المعرض السابع للتصوير الشمسى بدار المتحف الزراعى المصرى ، وقد جاء هذا المعرض كدليل جديد — بكثرة معروضاته ووفرة زواره — على نمو الروح الفنية وتقدمها ، ويكفى برهاناً على ذلك أن إدارة المعرض قد اضطرت إلى مده أسبوعاً آخر بعد انتهاء الأجل المحدد .

ويجب قبل أن نبدأ الحديث عن محتويات المعرض أن نشير إلى توفيق لجنة تنظيمه فى عملها توفيقاً تحمد عليه ، لولا بضع ملاحظات ، كالخلط بين المحترفين والهواة ، وكثرة معروضات التصوير الصحافى (الريبورتاج) ، وكان الأجدر تعيين مكان خاص لها ، كما نلاحظ مع الاغتباط مساهمة سلاح الطيران البريطانى فى عرض طائفة من الصور المأخوذة والمدة بحرفته ؛ [illegible] سلاح الطيران المصرى الذى [illegible] فى هذا المعرض ؛ لاسيما ونحن نعلم أن لديه مجموعة رائعة من الصور تكونت خلال تدريبه المتواصل . . . .

يبلغ عدد العارضين فى هذا المعرض أربعة وثمانين عارضاً بين هاو ومحترف ، وقد اشترك فيه من الهواة المصريين المعروفين الدكتور عمر خيرت ويحيى بك عارف والدكتور أحمد موسى ، ومن بين صور الدكتور خيرت الثانى يبدو أثر الشباب الذى يظهر حتى فى صوره المصرية البحتة ، فى الصورة التى أسماها « خجول من الشمس » ، وهى لسيدة ذات مقام سام بإحدى السفارات ، لم يجذبه إلى هذا الوضع إلا الظل البديع المنتشر على صفحة وجه الحسناء من يدها التى تحجب بها الضوء وتنشر الضباب ، وقد نالت مجموعته الدالية الذهبية .

كما يبدو المرض فى صور الأستاذ يحيى عارف بك ،



[illegible] الشمس — دكتور عمر خيرت

و[illegible] بتطورات الضوء التى يطالعنا [illegible] فى صورة فلاحه الشيخ التفاؤل الذى



فلاح عجوز — يحيى عارف بك

تعلن عن تفاؤله تلك الابتسامة العذبة المنيرة

وأمام صور الدكتور موسى يخطر المرء جهد الفنان في البحث عن مواضيعه . مثلا صورة « مولد النيل »



مولد النيل — دكتور أحمد موسى

تكشف عن ناحية من الطبيعة والفن ، ويلحظ الناظر الخط الأبيض الذي يحدد السحب ، وتجلي الضوء حول الغيوم ، كما تلمح في صورته « غمر الشمس » مظاهر البساطة



غمر الشمس — دكتور أحمد موسى

في التعبير عن قصص الشتاء في مصر .

ويقول الفن الحديث ، أو من ينادون بأن التصوير فن : إن الشكل كان وضعاً صحيحاً يكشف عن طبيعته ونفسيته ، من هذا القبيل صورة « شاعر القطرين » للأستاذ سليم يوسف (عرض) ، والتي لم يكن ممن رأى الشاعر خليل مطران ، يحكم أول وهلة أن هذه صورة شاعر . ولهذا الفنان غير صورة شاعر القطرين دراسات أخرى في الشخصيات ، منها « راهبة » ، وقد استطاع بالضوء المناسب أن يكسو الراهبة جواً دينياً يحيط بها في غير عناء ، كما تبدو دراسته في « الجمال المصري » الصبية في الثانية عشرة موفقة في إبراز الحيرة .



شاعر القطرين



جمال مصري — سليم يوسف

ومن المفروض الناضج الأستاذ رياض شحاته ، وصورته الرائعة لصاحب الجلالة الملكي في الفجر أمام خيمة الصيد موفقة إلى أبعد حد . كذلك الأستاذ شرين شحاته ، وخصوصاً دراسته من « جمال الشرق » التي يطالع المتأمل فيها سمات الشرق وأهمها النور الشائع الذي لم يغفل حتى الشعر فتخلله في بريق خلاب . وقد نال هذا



جمال أرق — تصوير شحاتة

الفنان الشاب الثالث الذهبية المعرض على مجموعة صوره الثلاث .

ومن معروضات الفنانين « أليال » و « ديلاء »



جمال يونان — تصوير ...

و « أبكار » (من المحترفين) تبدو ظاهرة الاستعداد الفني الكامل ، فتمتزج مهارة المصور بدقة العدسات ومعدات التصوير . ومن الإنصاف أن نقرر أن هذه المجموعة ليست

إحصاءً لغير ما في المعرض ، وإنما هي لبعض ما فيه من آيات وآداب ، وهناك غير من ذكرنا كثير من الهواة البارزين أمثال حسن بك أفلاطون والآنسة ابتسام حجاز وعلي أبو عيف ومشا كورو مارسيل (جائزة فؤاد الأول باشا)



... — تصوير البناني

... وغير هؤلاء ، وهناك من المحترفين ... ولكل واحد من هؤلاء مميزاته وخصائصه ولكن اجتمعوا عند نقطة واحدة هي إخضاع العدسة وترويضها لكي تكون كريشة الرسام في الإبداع .

صلاح الدين ذهني

إنه في يوم الأربعاء ٢٩ مارس سنة ١٩٤٤ الساعة ٨ الإفرنكي صباحا بناحية ... سيباع علنا الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ملك محمد يوسف عبد الله وآخر وفاء لمبلغ ٢٠٠ قرش صاغ خلاف رسم هذا وما يستجد من المصاريف نفاذاً للحكم الصادر من محكمة ... في القضية رقم ٤٣٥ سنة ١٩٤٤ لحساب ... على ... المحضر

إنه في يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٤٤ من الساعة ٨ الإفرنكي صباحا بناحية ... وفي يوم السبت ٢٦ منه سنة ١٩٤٤ ... سيباع علنا الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ... وفاء لمبلغ ٢٣٠٩ قرش صاغ خلاف رسم هذا النشر نفاذاً للحكم رقم ١١١٠ سنة ١٩٣٧ ... لحساب الخواجه ... على ... المحضر

القصيد:

زهر الربيع..!

"إلى منبعها الفن والأغنية الحب ...
لها التي ألحنها في «زهر الربيع»"

يا طيورَ الروضِ، غنّي النشيدا
وانثري فوق الربى زهرَ الربيع
واغتدي بالغصنِ ريانَ جديدا
واسبحي في ذلك الأفقِ الوسيع

أيقظي الفجـــرَ نديًّا بهيجا
يتهادى من وراء الأفق
يرسلُ النورَ عليـــه حالما
ويحيه بشــذى [illegible]

رددي في الروضِ ألحانَ الصباح
وابعثي الألحانَ من زهرِ الربيع
وانشريها بين أفنانِ الأقاحي
فتنةً تنسجُ أنداءَ الدموع

وأتى الطلُّ شجيَّ الجدولِ
وعلى شطيهِ نامَ الشــاعرُ
هاهنا دنيا الهوى والغــزلِ
سحرُ الروحِ وحلمُ الشاعرُ

إيهِ يا زهرَ الربيعِ الباسمِ
يا متاعَ القلبِ يا أنسَ الأماني
[illegible] هذا الطائرِ
[illegible] شــذاكَ هاتيكَ المثاني

أحمد عبد الحميد الغزالي

وحي الخريف

نسماتُ الخريف حيث تأودتْ
أقبلتْ بها الفؤادُ تحنّى

ما الجمالُ الندىّ ماشٍ على الكو
نِ فروّى البقاعَ سهلاً وحزنا

ما أرقَّ النسيمَ إذ هبَّ رهواً
فاكتسى الكونُ منه حسناً ويُمنا

وقفتْ أعينُ العباد على السحـ
ـرِ [illegible] به افتتاناً تثنّى !

* * *

قف تأمّل روائعَ الفنِّ الأز
هى وشاهد من [illegible] فنا

تنثنى الغصونُ رقصاً على وقـ
ـعِ الأناشيد [illegible]

وكأنّ الرياضَ سكرى من الطلِّ
نشوى ، ينثنين زهواً وحسنا

ربَّ قلبٍ معذبٍ نسى الهمَّ
بها واستعاد بشراً وحسنى

وتغنّت بخالقِ الناي سحراً
أبدع نغمةً ولم يُبقِ حزنا

أمسياتٌ بها أطيبُ الأماني
وبها يسعد الفؤادُ ويهنى

(البصرة) ناصر عزيز منصور

إنه في يوم السبت ٨ مارس سنة ١٩٤١ من الساعة ٨ أفرنكي صباحاً بناحية شبرا ... وبوم الخميس ١٣ منه ... سيباع ... هذه الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ... نفاذاً للحكم الصادر في القضية رقم ١٨٢ سنة ١٩٤١ ... ٣٢٦ قرش ... وما يستجد ... المحضر

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين ، مصر